المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن عشر بعد المئة

April 1951 — ابريل سنة ١٩٥١

سيكولوجية الحنابلة

طبقات الحنابلة (١)

للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

كتاب ترجمة لحياة سبعة وتسعين علماً من أعلام الحنابلة عاشوا في القرنين الخامس والسادس الهجري ٤٦٠ هـ — ٥٤٠ هـ وضعه العالم الثقة أبو الفرج بن رجب (٧٣٦ هـ - ٧٩٥ هـ) وقام بنشره وتحقيقه العالم الفرنسي المستشرق هنري لاووست، والأستاذ السوري النابغة محمد سامي الدهان ، وأخرجه المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، في هذا العام .

ويقع الكتاب في ثلاثمائة صفحة ، ويشتمل على ترجمة لأعلام الحنابلة في القرنين الخامس والسادس الهجري ، وتمهيد مركز بقلم الناشرين عن نشوء المذهب الحنبلي ، وأعلام المترجمين لرجالاته من أمثال الخلال والخرقي والفراء ، وترجمة لحياة « ابن رجب » وآثاره ومؤلفاته وذيل الكتاب بتسعة فهارس جامعة .

وقد اعتمد المحققان في بعث هذا المخطوط على ثلاث نسخ ، كتبت الأولى بعد خمس سنوات من وفاة المؤلف ، وكانت عمدتهما في النشر ، والأخريان كتبتا بعد نيف وثلاثين سنة ، وهذه النسخ الثلاث من أقدم النسخ وأوثقها . (المقدمة ص ٢٨) .

---

(١) الكتاب تأليف أبي الفرج بن رجب — نشر وتحقيق الدكتورين : هنري لاووست وسامي الدهان — اخراج المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٥١

ويشهد المطالع على هذا الكتاب مبلغ الجهد العظيم الذي بذله المحققان في إبراز هذا المخطوط إلى عالم النور لما قاما به من تصويب للكلمات والنصوص المصحفة والمحرّفة في المخطوطات التي اعتمد عليها، ولا يسعه إزاء هذا، إلا أن يحمد لهما صنيعهما لاحياء التراث العربي، من ناحية، وتزويد الفكر الحديث بمادة خامة صالحة للبحث السيكولوجي من ناحية أخرى.

وإذا احتفى فريق من الناس بما ضمّ هذا الكتاب من تراجم كثيرة لرجال أتقياء متزهدين، وما وعى من أحاديث نبوية، ومسائل فقهية منثورة هنا وهناك، وما تحلى به من قصائد في الزهد أو الحب العفيف، فان احتفاء العصريين، وفرحتهم به مضاعفة، لأنهم يقعون فيه على طابع عجيب من الناس، متغال في الذاتية، والغ في الانطوائية، محصور في مثالية روحية، وهذا الطابع من الناس موجود في كل مصر، ولكن شخوص هذا الكتاب مجتمعة، وتبيان سلوكهم، وتأملاتهم، وأحلامهم وأشعارهم، وثوراتهم، تمد الباحث السيكولوجي بمدد وفير لدراسة هذا الطابع الشعوري الغريب.

فجلهم فار إلى العزلة، نافر من الحياة، كاره لما فيها، متوله بالله. يجد في كنفه راحته وطمأنينته، وجذله وسعادته وهذا طابع الذاتي المحب لذاته وأهميته.

وبعضهم كان يتكتل حقده على منكرات المجتمع، فيحمل على ناسه وأحداثه، بلسانه، وفي بعض الأحيان بيده، — فالشريف أبو جعفر — وكان من أعلام الحنابلة كان شديد القول واللسان على أهل البدع، ينكر المنكرات بيده ولسانه (ص ٢٢) — وأحمد بن العلثي — النقاش يرى مرة في دار السلطان صوراً مجسمة من الأسفيداج، فيكسرها كلها لأنها منكر (ص ١٣٠) — وأبو سعد البقال — يلقي مغنية خارجة من دار تركي، فيقبض على عودها ويقطع أوتاره (ص ١٣٣)، ولمة أخرى كانت تهاجم المواخير وتتبع المفسدات والمفسدين، وبائعي النبيذ.

ومثل هذه الأعمال العدوانية لها دلالتها السيكولوجية، ويمكن أن نجد تفسيرها في المركبات الأبوية، أو الرغبات المكبوتة، أو الأعراض الذهانية، التي تبدو مظاهرها لدى المضطهدين، أو المصابين بالميلانخوليا، أو حالات الفصام.

وكثير منهم عكف على العلم، واشتغل بفنونه النظرية، وقضى أكثر ليله ونهاره في التفكير — ومن أذكى أذكيائهم، — أبو الوفاء بن عقيل —، الذي كان يقول: —

«إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى اذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة،

وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره (ص ١٧٦) وقد صنّف مجلدات كثيرة في التفسير والفقه ، والأصول ، والنحو ، واللغة والشعر والحكايات (ص ١٨٨) — وقد بلغ من هيامه بالعلم أنه يخشى على ضياع وقته في أثناء تناول أكله ، فكان يختار سف الكعك وتحسيه بالماء ، على الخبز ، توفراً على المطالعة ، أو تسطير فائدة لم يدركها ! (ص ١٧٧) .

ولم يقف مفكروهم على علم الحديث والعلوم الفقهية ، بل تنوعت اهتماماتهم العلمية ، والأدبية ، فاهتم — أبو الحسن بن الزاغوني — بالمسائل الحسابية ، وله كراسة في عويصها (ص ٢١٨) وبرع — أبو بكر قاضي المارستان — في علوم كثيرة منها الحساب والجبر ، والمقابلة والهندسة ، وله فيها تصانيف (ص ٢٣١) — .

وتضلع — أبو منصور الجواليقي — في علم اللغة ، والأدب ، وصنّف كثيراً في هذه الناحية ، وأمثال هؤلاء العلماء ، والأدباء المتضلعين ، يمثلون الطابع الفكري المنطوي ، المتميز بالتأمل والتحليل ، والعناية بالنواحي النظرية دون العملية .

وإلى جانب هؤلاء المفكرين ، ألمّ كتّاب الطبقات بشعراء ، ينم شعرهم على صفاء ذهن ، ورقة شعور ، والملحوظ في شعرهم ، اتجاهه الى الناحية الانفعالية ، ودورانه حول الزهد ، والآخرة ، والحب العفيف ، وهذا يؤيد طابعهم الشعوري المنطوي ، ومن خير شعرائهم — أبو محمد التميمي — الذي جمع شعره بين الزهد والحب ، فقال في الزهد :

هلموا لنبكي قبل فرقة بيننا   فما بعدها عيش لذيذ ومجمع
وخل التصابي والخلاعة والهوى   وأمّ طريق الحق ، فالحق أنفع
وخذ جنة تنجي وزاداً من التقى   وصحبة مأمون، فقصدك مفزع(١)

ومن شعره الوجداني المتحرك ، البديع التصوير قوله : —

مررنا على رسم الديار فسلمنا   وقلنا له : ياربع أين نأوا عنا ؟!
وجدنا بدمع كالرذاذ على الثرى   فصُمّ المنادَى فانصرفنا كما كنا
وما ذاك إلا أن رسم ديارهم   به كالذي نلقى فقد زادنا حزنا
فلما أيسنا من جواب رسومهم   نزلنا فقبّلنا الثرى قبل أن رحنا

ومن شعرائهم المطبوعين — جعفر السراج — وكان ظريفاً لطيف الأخلاق ، بعكس

---

(١) كتاب طبقات الحنابلة صفحة ١٠١

أغلب الحنابلة ، وقد نظم كتباً كثيرة ، فنظم في المسائل الدينية كثيراً ، كنظمه في مناسك الحج ، وله شعر وجداني رقيق ، ومن ذلك قوله : —

بان الخليط فأدمعي وجداً عليهم تستهل
وحدا بهم حادي الفرا ق عن المنازل فاستقلوا
قل للذين ترحّلوا عن ناظري والقلب حلّوا
ما ضرّهم لو أنهلوا من ماء وصلهم وعلوا

وكذلك كان — أبو الخطاب الكلوذاني — من شعرائهم الظراف ، وله قصيدة دالية شهيرة في السنة، وله شعر وجداني عذب ، ونوادر شعرية لطيفة ومن شعره الوجداني قوله :—

وكم ذا التجني منك في كل ساعة أما لفؤادي من رضاك نصيبُ
لئن كان جنبي عندكم فهو والهوى مقيمٌ ولكن الحبيب حبيبُ
وإن كان ذنبي عندكم كلفي بكم فما أنا منه ما حييت أتوب
غرامي بكم حتى الممات مضاعفٌ وقلبي لكم عندي عليَّ رقيبُ

ومن لطائفه الشعرية رده على هذه الفتوى : —

قل للامام أبي الخطاب مسألة جاءت إليك وما يرجى سواك لها
ماذا على رجل رام الصلاة فمذ لاحت لناظره ذات الجمال لها ؟

إذ كتب على هذه الفتوى يقول : --

قل للأديب الذي وافى بمسألة سرت فؤادي لما أن أصخت لها
إن الذي فتنته عن عبادته خريدةٌ ذات حسن فانثنى ولها
إن تاب ثم قضى عنه عبادته فرحمة الله تغشى من عصى ولها !

والملحوظ أن اهتمام الحنابلة بالعلم النظري أو الأدب كان اهتماماً عارضاً ، وجل اهتمامهم كان محصوراً في علم الحديث والفقه ، وتفكيرهم في هذين العلمين مقصوراً على الأثر ، أي ما يروى عن النبي والخلفاء والصحابة والتابعين ، فهم اتباعيون لا ابتداعيون فأصول مذهبهم ، وفتاواهم الفقهية تنتهي كلها إلى السنة وتأخذ من معينها ، ولهذا تجافوا عن الرأي ، والنظر في علم الكلام وهو العلم الذي يفلسف العقائد ، والفلسفة والمنطق والتصوف وتفكيرهم على مقتضى هذا ، كان تفكيراً قائماً على قوة الحافظة ، والاستنباط ، ولم

يكن لهم هـذا التفكير المنشىء الخلاق القائم على الخيال والاصالة ، وإذا كان قد وجد فيهم كثير من المجتهدين في الفقه ، أمثال الفراء أو ابن تيمية وابن القيم وغيرهم ، فقد كان اجتهادهم ، متصلاً بخيوط الأثرية ، فاذا أخذوا بالقياس أو الاستصحاب أو المصالح المرسلة ، فهو اعتماد على ما كان يأخذ به السلف الصالح عند عدم وجود نص قرآني أو حديث ، ولا نعرف أحداً منهم تحلل من الأثرية إلا النادر ، ونذكر منهم — الطوفي — الذي كان يقدم المصلحة المقطوع بها على النص القطعي (١) وقد كان أكثر اجتهاد الحنابلة موجهاً إلى الاحوال الشخصية والمعاملات ، أما العبادات والعقائد فقد كانت آراؤهم فيها نقلية أثرية .

وفي الكتاب الذي بين يدينا ، لا نجد من الأعلام الذين تحدث عنهم - ابن رجب - إلا نوادر من المجتهدين ، والمخرجين ، أمثال — علي بن عقيل البغدادي — ، وعبد الله الأنصاري — ، والشريف أبو جعفر — ، وأبو الخطاب البغدادي (الكلوذاني) وقد أورد - ابن رجب - بعض المسائل التي تفرد بها — ابن عقيل ، ومنها : (١) إن النساء لايجوز لهن استعمال الحرير إلا في اللبس دون الافتراش والاستناد ، (٢) إن الربا لايجري إلا في أعيان نص عليها ، (٣) إن الوقف لا يجوز بيعه وإن خرب (ص ١٩٠) - (٤) التسوية بين الذكور والأناث من الأولاد في العطية ، (٥) الزوجة إذا كانت نضوة الخلق لايمكن زوجها وطأها إلا بجناية عليها ، فأنه يملك فسخ زواجها .

ولأبي الخطاب البغدادي (الكلوذاني) مسائل كثيرة تفرد بها ، وقد أثبتها المؤلف في الكتاب (ص ١٤٧ - ١٥٤) نذكر منها : (١) إن الشاهد لايجوز له أن يشهد على آخر في كتاب مكتوب عليه حتى يقرأه عليه (ص ١٥١) — (٢) إذا غاب الزوج قبل الدخول ، فطلبت المرأة ، المهر ، فان الحاكم يراسل الزوج ويعلمه بالمطالبة بالمهر ، فان لم يبعث به إلى الزوجة باع عليه ملكه .... (ص ١٥١) — (٣) إذا رأى إنساناً يغرق ، يجوز له الافطار ، إذا تيقن تخليصه من الغرق ولا يتسع المجال لذكر ما تفرد به هؤلاء الأعلام . وفي تضاعيف هذا الكتاب مسائل تشد الالتفات ، منها ما يتصل بالعبادات ومنها ما يتصل بالمعاملات ، ومما جاء في العبادات قول - أبي الحسن بن الزاغوني - (ص ٢١٩ —) : إن المشهور من المذهب ، أن السم نجس ، وفي المذهب ما يحتمل أنه ليس بنجس ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، أكل من الذراع المسمومة .

ومن هـذا المثال الأخير يتضح أن بعض الحنابلة في اجتهادهم ، وإن خالفوا مذهب

---

(١) راجع كتاب أحمد بن حنبل — تأليف الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة صفحة ٣٠٤

إمامهم ، كانوا يعتمدون على حادث أثري .

والمأثور عن الحنابلة بعامة ، تشددهم في مسائل العبادات وفي المعتقدات ، وتسامحهم في النواحي التي تتصل بالناس كالأحوال الشخصية والمعاملات .

فهم يتشددون في مسائل الطهارة والنجاسة . فسؤر الخنزير نجس ، وكذا الاناء الذي يلغ فيه ، وأكل لحم الابل ينقض الوضوء ، ولم يقل بهذا أحد من الأئمة الثلاثة (١) — وأن المضمضة والاستنشاق واجبان في الوضوء مع أنهما من السنن ، وتارك الصلاة كافر — وشارب الخمر في رمضان يغلظ له الحد ، وإلى جانب هـذا ، فانهم يؤمنون أيماناً مطلقاً بالقضاء والقدر خيره وشره ، (٢) ويؤمنون بالمعنى الظاهر في جميع آي القرآن فيعتقدون برؤية الله يوم القيامة ، استناداً على الآية الكريمة : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » فاذا ما ووجهوا بقوله تعالى : « لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » أجابوا بأن المقصو من هذه الآية هو عدم رؤية الله في الدنيا لا في يوم القيامة.

⁂

وواضح مما تقدم أن مجال أغلب الحنابلة السيكولوجي كان مجالاً ضيقاً تأثر بعوامل وراثية محافظة ، وبيئية صارمة ، وعقلية مقصورة على ناحية بعينها من التفكير ، وبهذ المؤثرات المختلفة تحدد طابعهم الذاتي الوالغ في الذاتية ، والانطوائي الغارق في الانطوائية والسلفي العاكف على الماضي . وكان من آثار هذا الطابع ، أن جانبوا المجتمع ، وإذا اضطرو إلى الاتصال بالناس للوعظ أو التدريس ، أو الدراسة ، كابدوا من هـذا ضيقاً نفسيًا ولاقى الناس من بعضهم عنتاً ، لصراحتهم المفرطة ، وابتعادهم عن المداراة ، وقسوتهم ، بل غلظتهم على الناس ، وجرأتهم على الحكام والأمراء .

فهذا — أبو سعد البقال — يعظ الوزير نظام الملك بجامع المهدي يقول : —

« إن من هو على الخليقة أمير فهو في الحقيقة أجير ، قد باع زمنه وأخذ ثمنه » ويقول: « وأنت يا صدر الاسلام ، وإن كنت وزير الدولة ، فأنت أجير الأمة ، استأجرك جلال الدولة بالأجرة الوافرة ، لتنوب عنه في الدنيا والآخرة (ص ١٣٣، ١٣٤) وهذا — أبو علي البناء — كان شديداً على أهل الأهواء (ص ٤٢) وهذا — ابن عقيل — يكتب مر إلى ابن جهير الوزير ، كتاباً جهماً عنيفاً يقول فيه : —

« تُرى بأي وجه تلقى محمداً — صلى الله عليه وسلم . . . ثم كيف تطالب الأجنا

---

(١) كتاب أحمد بن حنبل — للاستاذ محمد أبو زهرة ص ٣٥٠ (٢) المرجع السابق ص ١٣٠ .

بتقبيل عتبة ولثم ترابها وتقيم الحد في دهليز الحريم صباحاً ومساء، على قدح نبيذ، ويمرح العوام في المسكر المجمع على تحريمه! هذا مضاف إلى الزنا الظاهر بباب بدر، ولبس الحرير على جميع المتملقين والأصحاب!»

«يا شرف الدين، اتق سخط الله تعالى، فان سخطه لا يقاومه سماء ولا أرض، وإن فسدت حالي بما قلتُ فلعلَّ الله يلطف بي، ويكفيني هوائج الطباع، ثم لا تلمنا على ملازمة البيوت، والاختفاء عن العوام، لأنهم إن سألونا لم نقل إلاّ ما يقتضي الاعظام لهذه القبائح، أو الانكار لها، والنياحة على الشريعة (ص ١٧٩) وهذه الفقرات وأمثالها المبثوثة في كتاب «الطبقات» تفصح عن كثير من سمات الحنابلة، وصرامتهم في الخطاب وتجردهم عن المداهنة والمراءاة.

وقد ألمَّ — ابن عقيل — بسماتهم الجوهرية في الفقرة الجامعة التالية (ص ١٨٤) — والتي صدَّر بها الناشران المحققان كتابهما فقال:

«هم قوم خشنٌ، تقلصت أخلاقهم عن المخالطة، وغلظت طباعهم عن المداخلة، وغلب عليهم الجد، وقلَّ عندهم الهزل، وغربت نفوسهم عن ذل المراءاة، وفزعوا عن الآراء إلى الروايات وتمسكوا بالظاهر تحرجاً عن التأويل، وغلبت عليم الأعمال الصالحة فلم يدققوا في العلوم الغامضة، بل دققوا في الورع وأخذوا ما ظهر من العلوم، وما وراء ذلك قالوا: الله أعلم بما فيها من خشية باريها. ولم أحفظ على أحد منهم تشبيهاً، إنما غلبت عليهم الشناعة (١) لايمانهم بظواهر الآي والأخبار، من غير تأويل ولا إنكار ...»

وبالنظر لما اتسم الكثير منهم بالصراحة في القول، وعنف بعضهم على أرباب الموبقات فقد وجدوا من الناس من كان يبسط ألسنتهم فيهم، ومن كان يرمونهم بالتعصب والكفر والتجسيم ومن كان يؤذونهم ايذاءً شديداً ويكيدون لهم كيداً أليماً. فقد جاء في النقل أن أحد أعلامهم — الشريف أبو جعفر — مات بوضع السم في مداسه (ص ٢٩) وورد أيضاً، أن قوماً زاروا «عبد الله الأنصاري» — ووضعوا تحت سجادته صنماً وادعوا عند السلطان أنه يستحوذ عليه، ويذكر أن الله في صورته! فلما نجا من كيدهم أخذوا يأتمرون عليه، حتى أخرجوه من وطنه (ص ٢٩).

وعلى هذا الغرار، لاقى الحنابلة في كل عصر ايذاءً من العامة تارة، وحرباً من الفقهاء المبرزين تارة ثانية، ونضالاً من علماء الكلام، ومن رجال الدولة أخيراً. ولكنهم لم

---

(١) أورد الناشران كلمة «الشناعة» ويغلب على ظني أنها «القناعة»

يبالوا هذه الحملات المنيفة في الذود عن معتقداتهم متأثرين سيرة امامهم الأكبر — أحمد بن حنبل — الذي ضرب وسجن ليقول إن القرآن مخلوق : فأبى ووقف — كما يقول الناشران في مقدمة الكتاب (م ١٠) عند عقيدته « وهي أن القرآن غير مخلوق » مجاهداً لم ين ولم يفتر ، ولم تتأثر نفسه بما أصاب جسده » ولقد بقي الامام متوجعاً مما أصابه من التعذيب حتى آخر أنفاسه » .

وكما أصاب الظلم أعلام الحنابلة في كل عصر ومصر ، فقد أصاب الظلم سيرهم المكنونة في الطبقات ، . فهي لا تزال — كما يقول ، المحققان الفاضلان ، مخطوطة متفرقة في أطراف الأرض منها ما هو في العالم الشرقي ، ومنها ما هو في العالم الغربي لا يكاد يُعنى بها الباحثون عناية صادقة ولا يستطيعون فهم العقلية الاسلامية والفرق والمذاهب فهماً عميقاً إلا إذا وقفوا على هذه الطبقات المخطوطة ، فأشبعوها درساً وبحثاً وتحليلاً ، وموازنة ومقارنة (م ١٢) »

ولقد أسهم المحققان في إعطاء فكرة كاملة عن العقلية الحنبلية بنشر طبقات ابن رجب وهو أوسع ما وصل إليهما من تراجم الحنابلة ويستطيع الباحث أن يجد فيه بغيته وأمنيته فهو كتاب يطوي تاريخهم ويضم طائفة من الأحاديث مقرونة بالأسانيد المفصلة المتقنة ، كما يحوي مسائل فقهية كثيرة ، وفتاوى عرض منها المؤلف عرضاً غير قليل ، وهو إلى هذا كله جامع لبعض أشعارهم ، (م ٢٧) وكل هـذه النواحي تناولها المؤلف في أسلوب واضح وعبارة سلسة تغلب عليها القوة والمتانة . (م ٢٨) .

وإذا طاب لبعض الباحثين دراسة هذه الطبقات لما وعت من ترجمات ، وما حوت من أحاديث ومسائل فقهية ، فانه يطيب للعصريين دراسة هـذا الطابع من الرجال على ضوء سيكولوجي جديد ، وهو ما حاولناه في هـذا البحث الوجيز كما يشوقهم دراسة نواحي اجتهادهم في المعاملات ، ونظرهم إلى المصلحة كعنصر من عناصر التشريع نظرة رحيبة ، مما دعا المشرعون المصريون إلى اللواذ لآرائهم في تعديل بعض الأحكام الخاصة بالأحوال الشخصيـة ، والوقف ، والمواريث ، والوصية . ولمثل هذه الاتجاهـات التي يأنس بها المصريون ، والتي يجدون مادتها في هذه الطبقات ، يحق لنا أن نسجل للناشرين الجهيرين : الدكتور هنري لاووست والدكتور سامي الدهان — أجمل الحمد ، وأعمق العرفان ، لما أنفقا من جهد مقدور وتحقيق بارع صبور ، لبعث هذا المخطوط في أهاب بهي وقور .

وتأميلنا وثيق في متابعة هذين العالمين ، لبعث الجزء الثاني من هذه الطبقات ، وما يقع لهما من المخطوطات الأخرى ، لتوفير المادة . وتهيئة العناصر اللازمة لدراسة النواحي العصرية الجديدة التي ألمعنا إليها .

عصب السلام

للأستاذ الياس يعقوب

لا تنقذ السلام إلاّ اعجوبة. وإلى أن تحدث الأعجوبة نظل رهن الخوف والقلق والجذع من سوء المصير؛ نعمل للحرب سدًّا ونتشدق بالسلام جهراً. وكلما تراكمت الأسلحة وتنوعت، نشعر بدنو الساعة التي تدور فيها رحى الموت والخراب.

السلام أمنية الانسان: إن كان في حرب حن اليه، ولا يفارقه إلاّ موجع القلب باكياً، لأن الحرب إذا ما شبت تجعل النجاة أمراً عسيراً. فريح الموت والدمار تهب من كل صوب والمآسي والويلات تعود لتتكرر. وقد عجز الانسان عن الاستفادة من اختباراته وتجاربه لتشييد عالم جديد على أسس جديدة. لقد استطاع أن يتقن فن الحياة في زمن الحرب، وينظم معيشته وانتاجه تنظيماً دقيقاً، لكن عبقريته أصيبت بالشلل والعقم عند ما واجهت مشاكل السلم، وعجزت عن أن تجد الحلول الصحيحة لها فصح في السلام ما قيل في الزوج، إن الاحتفاظ بالزوج أصعب من الحصول عليه. فالدول التي أحرزت النصر في الحرب فشلت في توطيد السلم العالمي، ولم يتح لها أن تتمتع بهدنة تزيد عن متوسط عمر الانسان. وكل فترة سلام تستمر ما دامت الدول عاجزة عن الشروع باستئناف القتال. وقبل أن تندمل الجراح التي سببتها الحرب الأخيرة ترى البشرية نفسها مسوقة لمواجهة نزاع عالمي جديد. واننا نعلق على هذه الجولة أضخم الآمال وأعذبها، لأننا نستطيع في عرفنا أن نستأصل الشرور وتصفي أسباب النزاع، فتكون بمثابة مطلع فجر جديد لمفاهيم جديدة.

في هذه الفترة العصيبة من حياة العالم، التي تماثل فترة ما قبل العاصفة، وما يسبقها من نذر، غيوم وبروق ورعود، تتردد أصداء مؤتمر للسلم يعقد هنا، ونداء للسلم يصدر من هناك، وهذا الضرب من الدعاية لا يرمي إلى توطيد أركان السلم الحقيقي، بل إن هو إلا وسيلة خفية ماكرة تتوسل بها الدول الكبيرة قصد السيطرة على الشعوب

الضعيفة، بعد أن تكون خدرت أعصابها على وقع هذا الغناء الحلو الحنون، وسممت العقول بما بثت من روح التواكل والتخاذل والانهزام. وإذا ما نزعت بعض الأمم للسلام ونامت على هدهدته، دون سواها، آمنت بفلسفة النعومة والسفسطة، وآثرت الاستسلام والاستجداء على الصراع، فاستشرى بها داء الضعف، وأضحت لقمة سائغة تلتهمها الشعوب التي ظلت على مبدإ العنف والقوة. إن القوي يبشر بالسلام جهراً، ويندد بالحرب والذين يدعون لها، بينما يمد العدة للحرب سراً، ويعمل لها مادياً ومعنوياً. وإنما يفعل ذلك لتبرير عدوانه، وللابقاء على ما في قبضته من أرض ذات خيرات كثيرة متنوعة. ومن الطبيعي أن يطلب المستكفي الأمن والهدوء كي ينعم ويتلذذ بما جنت أطماعه إن الدول القوية الداعية للسلام آفة السلام والصفو والطمأنينة، وربيبة الظلم والعدوان والاستعمار. وليس ثمة سبيل لتوطيد السلم مالم تقم هذه الدول الدليل الصحيح، وتأخذ على نفسها العهد الأكيد، إنها لا تفسد جو الحياة على الشعوب المجاورة التي تقل عنها قوة وتختلف عنها أنظمة. وما دام ديدن هذه الدول القوية التوسل بالأيديلوجية لاخفاء المطامع والنوايا السيئة، فان مشكلة السلام في العالم تظل قائمة دون أن تجد حلاً ممكناً.

اننا مع رغبتنا الشديدة بالسلام، وتعلقنا الغريزي بالحياة، وكرهنا للآلام والمتاعب والدمار، لم نستطع بلوغ محجة السلام. فحياة البشر كائنة بين مد الحرب وجزرها. ونحن فيما ننشئ من حضارات، وننجب من نسل، ثم تشب الحرب فتأتي على كل شيء، لا نختلف عن الأطفال الذين يلهون على شاطئ البحر: بناؤهم لهو، وهدمهم لهو. وهم فيما يشيدون أو يهدمون لا أوجاع ولا دماء ولا حسرة. اننا لم نحقق السلام لأننا أخطأنا الصراط المستقيم المؤدي إليه، وأخطأنا في اختيار الحلول التي عوّلنا عليها لحل مشكلة السلام، ولم نغص الى الأعماق لكي نهتف إلى علة الحروب التي هي أم لكل حرب شبّت.

نحن في خلاف حول النظرة إلى السلام في العالم. وهذا الخلاف يعود الى الفروق في الايدلوجية وما ينشأ عنها من تقدير القيم وتصور الحياة المثلى. وتتأثر النظرة كذلك بحكم الموقع الجغرافي، كأن تكون الحدود طبيعية منيعة، أو اتفاقية طليقة، أو تقع الدولة وراء بحار شاسعة تحدق بها من جميع الجهات فتجهل الاحتكاك المستمر والرقابة الدائمة والمنازعات على الحدود. فالسلام في نظر الدول التي استحالت أرضها ميداناً للحروب، وشهدت مراراً تبدل الحدود الجغرافية، لا يكون ممكناً ودائماً إلا في العودة الى الحدود التقليدية أو الطبيعية «وان يسلم أعداء الأمة للأمة بحقها» كما يقول «أنطون سعادة».

أما الوضع الراهن فانه لا يصح اتخاذه أساساً لحل مشكلة السلم، لأن كل دولة قوية منتصرة تتشبث بوضعها الراهن وتأبى التقهقر خطوة واحدة. وما لم تتفق الارادات وتتماثل الأغراض فلا سبيل أبداً لاقرار السلام. فلنسأل الآن كيف تتوطد أركان السلام؟.

بعد أن خرج العالم من المجزرة العالمية الأولى خيل لأصحاب الحل والعقد ان التسلح يقود حتماً إلى الحرب. فلصيانة السلام ينبغي اللجوء الى نزع السلاح، أو تخفيفه، أو تحريم بعض أنواعه، والعمل على عرقلة المنافسة في التسليح وصنع معدات الحرب. وقد فاتهم ان الانسان عرف الحرب ومارسها وهو لا يعرف سلاحاً غير العصا. فالقضاء على تقدم السلاح الآلي الفتاك لا يبعد شبح الحرب ويدني السلام. لأن الأمبراطوريات القديمة التي قامت على الفتح والسيطرة، لم تعرف وسيلة للتنقل غير الدابة. إن العدوان لا يكمن في السلاح، قلّ أو كثر، بل في اليد التي تحرك السلاح، والفكر الذي يوجّه اليد ويدبرها. وكأن الحرب الأخيرة قلبت المفاهيم وتمخضت عن مقومات جديدة للسلم. إذ بات الناس يؤمنون أن القوة دعامة السلام وسياجه ولهذا طفقت الدول تتسابق الى التسلح والسيطرة على المواقع ذات الأهمية الستراتيجية في البر والبحر كي تفاجيء ولا تفاجأ وتضرب دون أن تضرَب. وإلى جانب هذا التهيؤ للحرب تعمد إلى عقد المحالفات وتكوين أكبر كتلة تقف في وقف الكتلة المناوئة. ولتحقيق الغايات المشتركة لا تنتج المعامل إلاّ ما يفيد في الحرب، وتبقى الجيوش مرابطة في الثكنات أو على التخوم. إن رجال السياسة يعتقدون باصرار ان السلم يولد في الميدان، ومن الحرب يتفجر السلام. والسلام الثابت الدائم هو ما تترسخ أسسه قبل أن تقف رحى الحرب، وما ينبثق من صميم الحرب وتطهره بحور من الدماء والدموع ولاستنباط هذا السلم ينبغي أن تكون الهزيمة التي يمنى بها العدو تامة ساحقة، في جميع الميادين، وتصاب جميع قواته بالشلل والابادة وتدمر كل مرافقه، ويتجرع كأس الذل مترعة. أما بلاده فيجب أن تمزق شر ممزق، وأرضه تقسم ويقترع عليها لتوزع، وينبغي أن يخضع للاحتلال الأجنبي كي تهذبه العبودية وتتحطم كبرياؤه.

إنني لا أدري كيف نستقطر الترياق من فك الأفعى، ونستنبت القمح من الزؤان، ونزرع بغضاء فنحصد محبة وثقة وأمناً ولا أدري كيف نتوسل بالارهاق والاذلال ثم نرجو الحصول على نفوس تتعشق السلام والتسامح والتفاهم. فما دام قلب المنتصر يتنزى غلاً وبغضاً فلا نعجب إذا ما رأينا الحرب تأتي إثر الحرب كالموجة إثر الموجة وهكذا تلقي كل حرب بذوراً لغيرها ونحن لا نختلف عمن يحاول إطفاء الحريق بوساطة المواد المشتعلة.

إن المنافسة في التسلح لا تقف عند حد ولا تبلغ درجة الاكتفاء: لأن الدولة مهما

تصنع وتكدس تبقى في شك من قوتها، وتظن أن عدوتها تفوقها في الأسلحة كمًّا ونوعاً. ولما كانت الأسلحة متنوعة وميادين الحروب مختلفة فلا سبيل للمقارنة بين القوى وتعادلها. وقد لا تتركز القوة في كمية الأسلحة فقط بل تستند الى المواد المحترقة التي هي بمثابة دم لها تبعث فيها الحركة والنشاط. زد إلى ذلك عوامل طبيعية من تضاريس وأنهار وبحار وأحوال اقليمية خاصة تعزز الدفاع أو تقلل من شأنه. فالخوف من اعتداء لم يقع، والقلق من جراء تكديس المعدات، وجو الحرب المفتعل الخانق، ترهق الدول المعنية، وتستنزف أموالها، وتخلق حالة من التوتر بسبب ما يبدو من استعداد للحرب.

ويقول آخرون إن السلام لا يتوطد ما دام البشر يتكاثرون باطراد. لأن التضخم في السكان يؤدي الى التنازع على البقاء بين الأفراد والأمم. فلكي نحصل على الاستقرار المنشود ينبغي تحديد النسل. قد يكون هذا صحيحاً فيما لو كانت حاصلات العالم الغذائية تصاب دائماً بالقحط مما يسبب إقلالاً بالغلال، وفيما لو كانت موارده المعدنية والنباتية لا تتناسب مع حاجته. ليس الاقلال علة القلق السائد، بل إن العلة كامنة في الجهل بأساليب توزيع الخيرات على الناس توزيعاً عادلاً، والجشع والاستغلال وقلة المساواة في مبلغ الاستفادة من خيرات الأرض، وانتشار البطالة، وما ينشأ عن البطالة وعدم المساواة من استياء وتأفف واختلال.

في العصر الحاضر تقوم الحياة السياسية على أساس قومي. وهذا النظام الذي تمخض عنه القرن التاسع عشر قام على أنقاض القرون الوسطى وما ساد فيها من إقطاع، ونظام طبقات، والحكم بموجب الحق الالهي .... فقضى على النظام الاقطاعي، ونقلت السلطة الى الشعب، وحلت المساواة أمام القانون مكان الامتيازات ونظام الطبقات، وكفل حرية الفرد في المجتمع، وصان حقوقه من عبث العابثين، وأقام التوازن بين حقوق الأفراد وواجباتهم. والقومية تقضي بتقسيم العالم إلى جماعات مستقلة بسبب تمايزها واختلافها من وجوه كثيرة. فهي في ذلك لا تتنافى مع الطبع الذي فطر عليه الناس وهو أن يحيوا جماعات ذات مقومات وخصائص ونفسية معينة اكتسبتها بحكم تفاعلها المستمر مع البيئة في مجرى الزمان. وإن ظهور النزعة أدى إلى تفسخ أمبراطوريات وظهور دول جديدة. وقد ازدادت الكيانات القومية وترسخت قواعدها واكتسبت الصفة الحقوقية بعد الحرب الكبرى الأولى بسبب طغيان الوجدان القومي وظهور مبدأ تقرير المصير. ولما كان يستحيل علينا – عمليًّا – أن نحدث مساواة تامة بين مختلف هذه الدول، فلا بد أن تظل هناك دول ضعيفة، حسب مفهوم القوة في هذا العصر، يتجلى ضعفها في قلة

مساحتها، أو ضآلة عدد سكانها، أو قلة موارد الثروة فيها، تقوم إلى جانب دول قوية. وإن في ضعف الأولى ما يغري الثانية بالاعتداء عليها لضمن لنفسها مجالاً حيوياً، كأن تتخذها سوقاً لسلعها أو مصدراً للمواد الخام التي تفتقر اليها صناعتها. وفي ازدياد هذه الوحدات السياسية تزداد الحواجز، ويكثر التوتر، وتتأزم العلاقات بين الدول دائماً.

إلى جانب هذا المظهر السياسي تقوم الحياة الاقتصادية على أساس عالمي. فالتطور الصناعي يختنق إن وقف عند التخوم السياسية المتعارف عليها. إنه يتخطاها إلى سائر أنحاء الدنيا. وان الحاجة إلى مواد خام وإلى أسواق للاستهلاك تزداد بازدياد التطور الذي يطرأ على المصانع الآلية.

إن نظاماً حيّاً دائم التطور لا يمكن أن يتلاءم مع نظام جامد محدود، ولا بد من أن يحدث اهتزاز يؤدي إلى توتر العلاقات الدولية أو انفصامها. لأن الجندي كثيراً ما يقتفي أثر التاجر، أو أن المتمول المغامر يجر الدولة أو يزين لها الخروج خارج نطاق الحدود السياسية. وفي ذلك ما يحمل الدول على الاستجابة لأنها أكثر ما تكون بعداً عن الاكتفاء الذاتي من الوجهة الاقتصادية.

ليس المسؤول عن الاضطراب العالمي النظام السياسي – الاجتماعي الذي لم يتطور ليصبح عالمياً كالحركة الصناعية وآثارها الاقتصادية. بل إن المسؤولية العظمى تقع على كاهل الاقتصاد الحديث الذي يتصف بالجشع المادي في مظهريه الشيوعي والرأسمالي، وكلاهما يتطلعان الى الاستعمار والاستغلال وإن اختلفت الوسائل والاعذار. إن الاقتصاد الحديث لا يخضع لمقاييس القيم الأخلاقية أو لقانون خلقي إنه لا يتحسس إلا بالسوق التي تؤله الربح، ولا تعرف مبدأ غير القيم المالية. وكلا الاقتصادين لا يرمي إلى انتاج أفضل السلع بأفضل الأسعار، ولا يقوم على مبدأ اجتماعي يرمي الى توفير الرفاهية وتأمين الحياة المثلى. وبهذه النظرة المادية الفاسدة تلجأ الدول مسوقة إلى بسط السيطرة على المجتمعات الانسانية الضعيفة واخضاعها لمآربها وامتصاص خيراتها. وان هذه الدول الاستعمارية لا تساعد على توطيد السلم وتماسك شعوب العالم وتحابها، فضلاً عن أنها تؤخر ركب الحياة في الأمم الضعيفة وتفسد نظرتها وإصالتها بحكم طبائع الاستبداد.

إن التقدم البشري وزيادة المواصلات ورقيها جملة، عوامل أبرزت لنا صورة جديدة للتعاون على حل أزمات العالم في مجتمع جديد أعضاؤه الدول القومية وكما ان الدول القومية منذ نشأتها حتى الآن لم تفكر بإزالة الوحدات الادارية في الوجود، ولم تأب

الاعتراف بمميزات اقليمية خاصة ببعض المناطق ، وبعضها ذهب بعيداً في منح الحرية لهذه الوحدات الادارية في تصريف شؤونها الداخلية ، فليس من السهل أو من الخير التعامي عن واقع الأمم وتمايزها والتفكير بالانتقاص من سيادتها . لابد من احترام السيادة القومية حتى تستمر في عملها على زيادة الرخاء العالمي والمساهمة في بناء الحضارات . لكن احترامنا لهذه السيادة لا يفرض علينا تحريرها من قيد أو سلطة عليا خوفاً من التصادم وسحق الأمم الصغيرة الضعيفة تحت عجلة الأمم القوية المعتدية .

ان تنظيم العالم على هذا الأساس — التسامي بالشعور القومي والتوازن التام بين دوله — يمكن أن يكون عاملاً فذاً في توطيد أركان السلام . لقد بذلت محاولتان لايجاد سلطة واحدة مسؤولة عن العالم أجمع : تمثلت المحاولة الأولى في عصبة الأمم والثانية في هيئة الأمم المتحدة . أما الأولى فقد فشلت في مهمتها الأساسية وهي صيانة السلم العالمي . أما الثانية فانها لا تزال قائمة وإن كانت أعمالها لا تبشر بخير عظيم ، وان عوامل الضعف والموت صاحبتها منذ نشأتها .

ان إنشاء كلتا المؤسستين في أعقاب حربين عالميتين مهلكتين يعود الى الفكرة القائلة إن المنازعات التي تقع بين الدول لا يمكن حلها على أساس قومي خوفاً من تحكم القوي بالضعيف الذي لا يقوى على مجابهته وان كان مسلوب الحق . ولهذا يستحسن — دفعاً للأذى والغبن ، وخوفاً من امتداد الشرارة — فض كل نزاع عن طريق المفاوضات والتحكيم . وكما ان الدول القومية تستمد سلطتها من الشعب ، وتكون قوية بنسبة ما يمنحها الشعب من ولاء وتحمس واندفاع في سبيل صيانتها . فان كل مؤسسة عالمية لا ترتفع كلمتها فوق كل كلمة بقدر القوة العسكرية التي تعتمد عليها ، بل بمقدار ما يمنحها أعضاؤها من ولاء ويظهرون من تأييد وثقة واستعداد لحل كل نزاع بالطرق السلمية . وإذا لم ننجح في تكوين المنظمة التي تفوق سلطتها سلطة كل دولة ، فقد كتب علينا أن نقتتل دائماً ، ونحتكم إلى القوة ، ونعود القهقرى قروناً ونخضع لشريعة الغاب . إن الأمم الضعيفة تجني كثيراً من الفوائد إذا ما عملت على احياء ودعم المنظمات الدولية لأنها أكثر عرضة للأخطار وأكثر ما تكون محط أنظار الدول القوية الطامعة . إنها في دخولها في محالفات كالاتفاقيات الاقليمية التي تضم عدة دول اتفقت مصالحها وأهدافها تخسر شيئاً من سيادتها وحريتها دون أن تبعد عنها شبح الحرب . بل ان مجرد انخراطها في هذه المحالفات يشير إلى مخاوفها .

إننا مع القائلين إن الحرب تهدد الحضارة ، وتزهق الأرواح ، وتنشر الخراب ، وتفقر

الطبيعة لكثرة ما تستنزف من مصادر القوة في زمن قصير ما استغرق تكوينه ملايين السنين. ومع ذلك فانها تستهوي نفوس الكثيرين الذين يرون فيها من الفرص لتحقيق الاغراض أكثر مما يتوفر في زمن السلم. انها تعمل على انتقال الثروات التي تتضخم وتتكدس، وتكسر حدة الفوارق بما توفر للناس من أعمال تتضمن الكسب والنجاح وتنشر الرخاء. وعدا ذلك فانها أمنية الشعوب المقهورة التي اغتصبت حقوقها ولم ينصفها السلم فتأمل استرداد هذه الحقوق عن طريق الحرب.

الحرب كوّنت لنفسها أهدافاً وحججاً ومثلاً تدافع عنها وتشهر بها. وسيظل السلم حلماً وسراباً بعيد المنارل ما لم نشده على أساس جديد ومتين. إن النظرات الاقتصادية الجزئية من رأسمالية وشيوعية لا يمكن أن تضمن لنا السلام لأنها مادية في أساسها. والقضايا الاقتصادية، رغم أهميتها، ليست كل شيء لأن الدوافع الى الحرب قد تكون معنوية كالروح العدائي الذي يسيّر الشعوب والحسد والخوف...

لابد لنا من بلوغ النفس البشرية وصقلها وتهذيبها. لقد جربنا وسائل عديدة لننظم السلم في العالم، ألما يئن لنا أن نجرب المحبة كترياق لعللنا؟ لنعط محبة من قلب محب. ان العالم يحن بشوق الى هذا الخبز أكثر مما يحن إلى الخبز الحقيقي. إن الرغيف يحفظ عليه رمقه لكنه لا يجنبه ويلات الحرب. اننا قد نبذل بسخاء ما يعتبر ضرورة جسدية لكن نفوسنا تبقى منكمشة على أنانيتها وحقدها. أما النفوس الممتلئة محبة فانها تسعد بالعطاء — أيا كان نوعه — وفي بذل كل شيء لاسعاد الغير دون ما نظر إلى نتيجة العطاء. المحبة إكسير يحوّل الصفات الخسيسة المترسبة في أعماق النفوس إلى مناقب سامية نقية. انها مفتاح القلوب والشعاع الذي ينير ظلماتها. ومتى قدر للقلوب أن تنفتح، قدر للناس أن يتفاهموا ويتحابوا. وبدون محبة يستحيل علينا أن نبلغ حالة من التعاون ين الأمم، وتحقيق المساواة. ما اختل التوازن الاقتصادي، وحصل نزاع على خيرات الأرض الكثيرة، إلا لأن النفوس أشربت بغضاً وطمعاً. انها تبغي التهام كل شيء وان ساءت أحوال الغير وأصابهم ضيق وأذى. ليس السلام في تجنب الحرب والاقلال من التسلح، بل في الوصول إلى إزالة سوء التفاهم بالود والتصافي. ومتى زال سوء التفاهم انتفت الأسباب التي تقود الى الخلاف الدامى المخرب، اننا بحاجة إلى نظرة جديدة لمعالجة أزمات العالم، تقدم دعائمها على المحبة الشاملة التي تستطيع وحدها، صيانة السلام.

قصيدة

نفثة مشتاق

للأستاذ عدنان مردم بك

لا تهيجي لواعج الأشواق   في فؤاد المتيم المشتاق
وتثيري لظى الكآبة في الصدور   وغرب الدموع في الآماق
إنّ نكأ الجراح أسقم للنفس   وأقسى من طعنة الأعناق
حسب هذا المشتاق حرقة وجدٍ   ما تناهت تشب ملء التراقي
ما أشد الشوق المبرح في الصدر   وأشقى حقيقة العشّاق

*

أي داء نفثت في الأكباد   وجراح نكأت في الأعماق
وبجنب المتيم المشتاق   من مرير النوى ونار الفراق
زكته الأشواق نضو شجون   يتلوّى كالصّلّ من ارهاق
ينفث الزفرة الكئيبة ناراً   تتلظى من غلة واحتراق
وتكاد الأضلاع يصهرها الوجد   التياعاً من حرقة الأشواق
زفرات كأنها حرق النار   ووجد يحزّ في الأعناق
ويشد الأضلاع شد غريق   لحطام السفين من اشفاق
يا لبؤس القلوب من غصص الشوق   ووجد كالنار غير مطاق
يكتم الصب ما يجشمه الوجد   ويخفي مرارة الاخفاق
والفؤاد الذبيح يخفق شجواً   في حنايا الأضلاع كالأوراق
مثل القلب كالفراشة لما   أبصرت في الدجى وميض ائتلاق
فترامت وما درت أي حتفٍ   إذ ترامت على اللظى ستلاقي !!!

وحدة القصيدة

في الشعر العربي

— ٢ —

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

نظام القصيدة في الشعر العربي المحدث

ولقد سار أكثر الشعراء في شتى العصور الأدبية على نهج أسلافهم الجاهليين. فالقصيدة عند حسّان أو جرير أو بشّار أو أبي تمام أو ابن هانئ أو المتنبي أو البارودي أو شوقي أو حافظ أو الجارم، هي هي، في الغالب مزيج من الأغراض والموضوعات والأفكار والمعاني والعواطف والمشاعر المختلفة. ولسنا نستثنى من ذلك عصراً دون عصر، ولا طبقة دون طبقة.

ففي قصيدة شوقي في «ذكرى المولد (١)» مثلاً:

سلوا قلبي غداة سلا وتابا   لعل على الجمال له عتابا

نجد مقدمة طويلة في الغزل، ثم يخرج الشاعر منه الى الحكمة وبيان ما في دين الله من اشتراكية وعدل واخاء، ويبلغ ذلك في القصيدة نحو الأربعين بيتاً. ثم يبدأ فيذكر ما كان قد نسيه من الاشادة بالرسول العظيم، وذكرى مولده الكريم، ويلم به أي بجوهر القصيدة في أقل من خمسة وعشرين بيتاً. وأنتم تعرفون ما في هذا من الأخلال بالتجربة الشعريه (٢) وبرسم الفكرة وتوضيحها.

---

(١) الشوقيات ج ١ ص ٦١ — ٦٣

(٢) لفظ التجربة هنا ليس معناه المحاولة، بل ما يعرض للانسان من فكر أو حادث أو احساس أو نحو ذلك (قواعد النقد الادبي ٢٥ — ط ١٩٣٦ بلجنة التأليف) — ويعرفها الدكتور أبو شادي بأنها تأثر الشاعر بعامل معين أو أكثر واستجابته إليه أو اليها استجابة انفعالية قد يكتنفها التفكير وقد لا يكتنفها ولكن لا تتخلى العاطفة عنها أبداً. (ديوانه من السماء ص ٥) وفي كتاب «الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث» للاستاذ السحرتي حديث واف عنها ودراسة شاملة لها

وكذلك صنع شوقي في قصيدته : « مشروع ملنر »(١)

اثنِ عنان القلب واسلم به من ربرب الرمل ومن سربه (٢)

فقد بدأها بالغزل ، ثم تحدث بعد خمسة وعشرين بيتاً في السياسة وموضوع القصيدة، فقال :

ما بال قومي اختلفوا بينهم من مدحة المشروع أو ثلبه

إلى آخر ما قال ..

ومرثية شوقي في مصطفى كامل باشا . .

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مأتم والداني

بكى فيها الزعيم ، واستمدّ من خلوده مدداً لحكمه الكثيرة ، التي صاغها بمهارة وحذق ، ثم عدّد مآثر الزعيم ، ووصف موكب الوطن في وداعه ، ونعشه الملفوف بالعلم .

هذه القصيدة المشهورة وحدة الموضوع فيها ظاهرة ، فهي في الرثاء ووقف عليه . ولكن الوحدة الفنية — التي سبق أن تحدثنا عنها ، وجعلناها عنصراً من عناصر وحدة القصيدة — مفقودة فيها ، فهي رغم طولها ليست خلقاً فنيًّا كاملاً ، إنما هي تجارب وعواطف ومشاعر مختلفة ، جمع بينها الوزن والقافية والرثاء .

هي رائعة حقاً من حيث هذه المشاعر الوجدانية الحيّة الرائعة الممزوجة بالحكمة والموسيقى . ولكنها رغم ذلك صورة مضطربة لا تسودها وحدة الشاعرية والفن ، التي نريدها ونطالب بها كل شاعر يؤثر أن يهب شعره للخلود والفن .

وقد نقدها العقاد في كتابه « الديوان » ، فرآها آية الشعوذة والتفكك وانعدام الشعور ؛ ورأى أن أبياتها أصداف ممتلئة كما يقول ، وأنها خالية من وحدة الأسلوب والقصيدة ، فمهما تحذف من القصيدة أو تؤخر أو تقدم ، وبأي بيت تبدأ ، لا يضطرب الشعر ، ولا يختلف المعنى ، ولا تتمنع القصيدة .

ودافع كثير من الأدباء عنها ، فلم يقولوا أكثر من أن فقدان تلك الوحدة وهذا الروح في القصيدة لا يضيرها . وأن حسبها هذه الحيوية والموسيقى وتلك الحكم ، وأنها من عيون شعر الرثاء(٣) .وما عدا ذلك من المآخذ ، ومن صلف الشاعر بنفسه وفنه فيها

---

(١) الشوقيات ج١ ص ٦٤ (٢) الربرب : القطيع من بقر الوحش . السرب بكسر فسكون : جماعة الظباء والنساء (٣) راجع افاضة الاستاذ السحرتي في الحديث عنها في كتابه « الشعر المعاصر » ص ١٤٩ وما بعدها

لا يضير القصيدة بأي حال (١)

وانتم تعلمون أن صياغة شوقي كما يقول بعض المحدثين لم تكن مستقلة في الغالب ، بل هي « محاكاة للصياغة الكلاسيكية التي ألقت ظلالاً على شخصيته » (٢) . وشعره مزاج من الكلاسيكية العميقة والرومانتيكية الخفيفة والواقعية المحلية » (٣)

هذا النهج الفني العام الذي سار عليه الشعراء الجاهليون والاسلاميون والمحدثون ، هو النهج السائد في القصيدة في الشعر العربي .

ولم يشذ عن ذلك : إلاّ مدرسة شعراء الغزل في عصر بني أمية ، التي وقفت شعرها على الجمال والحب ، وتابع السير في ضوئها العباس بن الأحنف . وممن شذّ عن ذلك أيضاً : أبو العتاهية في زهدياته ، وأبو العلاء في لزومياته التي جعلها وقفاً على الزهد والحكمة والموعظة .. وما عدا ذلك فاتباع للنهج القديم في الغالب ، ومخالفة لهذا التوزع في الفكرة والمعاني والشعور والأغراض في القليل .

ولم تكن دعوة أبي نواس للتجديد في مطالع القصائد ذات أثر بعيد في وحدة القصيدة ، فقد دعا إلى وصف الراح ، من حيث كان غيره يدعو إلى وصف الاطلال والديار ، في مطلع القصيدة :

وقد ضجّ أبو الطيب من بدء القصائد بالغزل ، فقال في مطلع قصيدة له في مدح سيف الدولة :

إذا كان شعر فالنسيب المقدم   أ كلُّ فصيح قال شعراً متيمُ ؟
لحبُّ ابن عبد الله أولى فانه   به يبدأ الذكر الجميل ويختم

ويبدأ أبو الطيب بعض قصائده بالموضوع نفسه فيقول :

لكل امرىء من دهره ما تعودا   وعادة سيف الدولة الطعن في العدى

ويبدأ بعض قصائده الأخرى بغير النسيب كالحكمة مثل قوله في مدح كافور :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً   وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتي ص ١٤٩ و ١٥٠

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٧

(٣) المرجع نفسه ص ١٥٧

أسباب ذيوع هذا المنهج في القصيدة في الشعر العربي

يعلل ذلك أحمد أمين بك بأن العربي لا ينظر الى العالم نظرة عامة شاملة ، وإذا نظر إلى الشيء الواحد لا يستغرقه بفكره ، بل يقف فيه على مواطن خاصة تستثير عجبه . ويرى أن هذه الخاصة في العقل العربي هي السر الذي يكشف لك ما ترى في أدب العرب من نقص وما ترى فيه من جمال : فأما النقص فما تشعر به حين تقرأ قطعة أدبية نظماً أو نثراً من ضعف المنطق ، وعدم تسلسل الأفكار تسلسلاً دقيقاً ، وقلة ارتباط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ، حتى لو عمدت إلى القصيدة ، وخاصة في الشعر الجاهلي ، فحذفت منها جملة أبيات ، أو قدمت متأخراً ، أو أخرت متقدماً ، لم يلحظ القارىء أو السامع ذلك وإن كان أديباً ما لم يكن قد قرأها من قبل . . ويقول : وهذا النقص تلمحه فيما يكتب في الموضوعات الأدبيـة ، فأنت إذا قارنت بين ما يكتبه الجاحظ أو ابن عبد ربه أو أبو هلال في الخطابة أو الوصف ، وما يكتبه أرسطو في ذلك ، رأيت الطبيعتين مختلفتين (١). وفي أكثر ما يقول هذا الباحث جورٌ في الحكم ، وما ذكره من نقص في أدبنا العربي فنشؤه أن العرب لم تكن من قبل أمة ذات حضارة وعلم وثقافة ، إنما أخذت تنشىء تلك الحضارة والثقافة على مر الأيام .

ويقول الزيات في ضعف وحدة القصيدة في الشعر الجاهلي وفي تعليل ذلك ، ما نصه : يمتاز الشعر الجاهلي بقلة العنـاية بسياق الفكر على سنن المنطق ، واقتضـاء الطبع ، فعلائق المعاني ضعيفة واهية ، ومساق الأبيات مفكك مضطرب ، فاذا حذفت أو قدمت أو أخرت ، لا تشعر القصيدة بتشويه أو نقص . وذلك لأن البدو بطبيعتهم ينقصهم النظر الفلسفي فلا يرون الحوادث والأشياء إلا مجردّة ، لا ينظمها سلك ، ولا تجمعها علاقة . ومن ثم كانت وحدة النقد عند أدباء العرب البيت لا القصيدة (٢) »

ويقول بعض أدبائنا المعاصرين في وصف هذه الظاهرة وتعليلها (٣) : « من النادر أن تجد قصيدة عربية تتناول موضوعاً واحداً من أولها إلى آخرها ، لا تخرج عنه إلى موضوع سواه . ولا شك أن بناء القصيدة العربية نفسه يساعد على تعدد الموضوعات ، لأن كل بيت وحدة قائمة بذاتها ؛ وكثيراً ما يكون كل بيت مستقلاً عما قبله وما بعده . ومن المكروه

---

(١) فجر الاسلام لاحمد أمين ج ١ ص ٥١ و٥٢

(٢) تاريخ الادب العربي للزيات ص ٣١

(٣) التوجيه الادبي ط ١٩٤٠ ص ٢١١ و٢١٢

في الشعر العربي أن يكون في بيت كلمة مرتبطة ارتباطاً نحويًّا بكلمة أخرى في بيت سابق أو لاحق. وليس معنى هذا أن يكون كل بيت يتناول موضوعاً جديداً؛ بل معنى هذا أن الشاعر الذي يريد الانتقال أو التخلص من موضوع إلى موضوع، يرى طبيعة الشعر العربي تساعده على هذا كثيراً. أضف الى ذلك أن التزام موضوع واحد لا يتناسب تماماً مع التزام القافية، فان تغيير الموضوع يجعل من السهل ايجاد قواف جديدة، تناسب الموضوع الجديد. أما اذا التزم الشاعر موضوعاً واحداً فانه لا يلبث أن يستنفد القوافي الى نحو عشرين بيتاً أو ثلاثين. فتنويع الموضوع إذاً يتناسب مع التزام القافية».

ويجعل الشاعر معروف الرصافي ضعف وحدة القصيدة في الشعر العربي أثراً لعجز الشعراء عن الابتكار، وغلبة التقليد عليهم، فيقول: «اتبع أكثر المحدثين خطة واحدة في الغزل والمدح ... ولا شك أن النابغين من الشعراء يخالفون هذه الخطة أو يتوسعون فيها .. ولكن الصورة لا عيب فيها من حيث هي بالذات، بل العيب في اتباع خطة واحدة والتقيد بها، كأن مخيلة الشاعر عاجزة عن ابتكار المعاني، والتوسع في وصف الصور العقلية» (١).

ويبدو لي أن ذلك يرجع في الجملة إلى ما يأتي: —

١ — ليس ما في الشعر الجاهلي الذي قلده شعراء العربية في جميع العصور — من تفكك واضطراب إلا أثراً لتعدد مناظر الصحراء وألوان الحياة والشعور فيها، وعدم خضوع الشاعر للمنطق، أو ميله إلى حبس فكره في ناحية واحدة.

٢ — أنفة الشاعر الجاهلي دعته إلى أن يموّه المدح بكثير من صور عواطفه ومناظر بيئته، حتى لا يظهر خضوع نفسه لمطالب الحياة وضرورات العيش.

٣ — تقليد الشعراء لمنهج الجاهليين في القصيدة تقليداً شديداً.

٤ — قيود الوزن والقافية في القصيدة، وطبيعة الشعر العربي نفسه؛ وذيوع اللون الغنائي فيه دون القصصي أو التمثيلي إلى غير ذلك من البواعث والأسباب السالفة.

للبحث تتمة

---

(١) سحر الشعر لرفائيل بطي ص ١١٩ و ١٢٠

تضخم البروستاته

أسبابه – أعراضه – علاجه

للدكتور عبده رزق

﴿البروستاته﴾ : غدة صغيرة محيطة برأس المجرى البولي عند عنق المثانة. وهي مسطحة مستطيلة الشكل. وتشبه في شكلها ثمرة الكستناء «أبو فروة» الكبيرة الحجم. يحدها من الأمام المثانة ، ومن الخلف القسم الأسفل من المستقيم ، ولها قاعدة ورأس: وقاعدتها أعرض من رأسها وتتجه نحو المثانة ، والرأس يتجه اتجاهاً أمامياً وسفلياً. أما من حيث طولها وعرضها فيبلغ كل منهما نحو ثلاثة سنتمترات ، كما أن ثخنها يبلغ نحو سنتمتر ونصف. ولوقوع هذه الغدة في العجان périnée ، على بعد ٢ — ٣ سنتمترات خلف عظم العانة pubis أي بين الخصيتين من جهة والشرج من جهة أخرى لا يمكن جسها في حالة سلامتها ، وهي إلى جانب ذلك مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بوظائف الجهاز البولي التناسلي عند الرجل.

وإذا نظرنا اليها من الناحية التشريحية نجدها مؤلفة من ٤٠ الى ٥٠ غدة صغيرة عنقودية الشكل تسمى حويصلات follicules تفصل بعضها عن بعض الياف عضلية. ولها فصّان أحدهما أيمن والآخر أيسر ، وبين الاثنين فص أوسط ، الذي يصاب بالتضخم عند المتقدمين في السن. وبما اننا قد وصفنا البروستاته وصفاً تشريحياً بصفة كونها غدة في طريق البول التناسلي ، وأوضحنا علاقتها بالاعضاء المجاورة لها في التجويف الباطني فينبغي أن نصف التضخم الذي يحدث فيها وهو الموضوع الذي يهم الكثيرين معرفته بالنظر للاصابات المتعددة به وما قد يتسبب عنه من المضاعفات عند المصاب وهذا ما يجب فعلاً الانتباه اليه.

﴿أسبابه﴾ إن السن التي يحدث فيها تضخم (البروستاته) هو من ٥٥ الى ٦٥ أي بعد متوسط العمر إذ نجد أكثر من ثلث الرجال مصابين به (٣٠ الى ٤٠ في المئة) وذلك بدرجات متفاوتة. في البلوغ يكون حجم البروستاته صغيراً جداً ، ومن سن العشرين الى الخامسة والعشرين يكون قد اكتمل نمو تلك الغدة فتبقى على تلك

الحالة حتى الخامسة والأربعين، ثم تأخذ في التضخم تدريجيا، وهذا يبلغ أشده، كما قلنا، بين سن ٥٥ الى سن ٦٥، ويكون حدوثه في الفص الأوسط من الغدة، وقد يصيب أحياناً أحد الفصين أو كليهما، لكن التضخم يقع غالباً في الفص الأوسط، ويكون الفصان الجانبيان مسطحين بسبب تضخم الفص الأوسط ممتدين إذ ذاك نحو الأطراف. أما أسباب تضخم البروستاتة فتعزى، طبقاً لآراء المؤلفين الحديثين، الى اضطراب يحدث في مفرزات الغدد الصمّ (الغدد ذات الافراز الداخلي. غير أن السبب الوحيد، الأكيد لحدوثه هو كبر السن. لأن هذا المرض لا يشاهد قبل سن الخمسين.

﴿أعراضه﴾ يتميز تضخم البروستاته ببطء التبويل وعسره مع ثقل وزحير (١) في المستقيم Tenesme rectal بحيث يتوهم المريض أنه مصاب بالبواسير. ففي بدء الأمر يشعر بميل شديد الى التبول، وبخاصة في الساعات الأخيرة من الليل، ويجري البول إذ ذاك بدون جهد أو عناء لكنه يكون بطيئاً متقطعاً. ومع ازدياد حجم الغدة يصير خروج البول بالتدفق والتقطع ولا يستطيع المصاب حينئذ افراغ مثانته افراغاً كاملاً فيبقى فيها جزء من البول. وكلما ازداد التضخم يكثر في المثانة احتباس البول فيفسد ويصير نوشادري الرائحة، وكثيراً ما يكون كدراً فينجم عنه التهاب المثانة cystite. ويعتري المصاب في هذه الدرجة من المرض عسر حاد في التبول مع ميل شديد اليه بحيث لا يقدر أن يبول فتمتلىء المثانة وتمتد وترتفع الى أسفل البطن. وقد ينقطع البول تماماً في بعض الأحيان نتيجة حدوث انقباضات شديدة تدفع الفص الأوسط المتضخم من الغدة نحو عنق المثانة فيزداد امتلاؤها ويشعر بها عند اللمس على هيئة ورم صلب. وقد تلتبس أعراض تضخم البروستاته باعراض حصوة المثانة فلا يسع المصاب حينئذ إلاّ الالتجاء الى جراح متخصص لتشخيص العلة وازالة السبب — وقد تبدو فجأة أعراض التضخم إذ يقضي المريض ليلته معتقداً أنه ممتع بما يروم من الصحة والعافية، فاذا هو يستيقظ صباح اليوم التالي مصاباً باحتباس البول، وكثيراً ما يكون قد تجرع في يومه السابق مقداراً كبيراً من السوائل، أو من المشروبات الكحولية فأحدثت له شللاً يعوقه عن التبول فتراه يأخذ أوضاعاً مختلفة حينما يشعر بادرار البول، وغالباً ما يمنع نفسه عن هذا الاضرار بسبب الألم الذي يعتريه، فتزداد كمية البول في المثانة، وهذه الزيادة مع ما يصحبها من تنبيه أعصاب جدران البطن تفضي إلى حدوث تشنجات في الجدران مما يسبب ضغطاً في البروستاته فتكون نتيجة ذلك شدة احتباس البول وتراكمه في المثانة حيث يصبح فاسداً

---

(١) استطلاق البطن — التعني — اي الاسهال الاليم.

مما يصيب المثانة والكلى بالتهابات خطيرة يعقبها حدوث التسمم البولي .

﴿ المضاعفات ﴾ : أهم المضاعفات التي تحصل في الاصابة بتضخم البروستاته ما يلي : —

(١) التهاب الكلية مع حوضها الذي يحدث على أثر حبس البول في المثانة ، مصحوبا بانحطاط في قوى المريض .

(٢) احتمال صيرورة التضخم المشار اليه سرطاناً غشائياً Epithélioma في بعض الأحيان

(٣) حدوث بول دموي Hématurie من المثانة، وهذا حدوثه في الأدوار الأولى للمرض ويكون مقتصراً على خروج بضع نقط من الدم عند نهاية التبول ، أي حين لا يستطيع المصاب بتضخم البروستاته افراغ مثانته افراغاً تاماً — وهذا مما يؤدي الى الاصابة بفقر دم يزعج المريض وأهله .

﴿ العلاج ﴾ : إن البرء من هذه العلة المؤلمة والمضعفة لنادر ، وانما يمكن تأخير سيرها باتباع الطرق الصحية ، وانتظام المعيشة ، واجتناب البرد والتعب ، مع تليين الأمعاء ، ثم التبول في أوقات معينة وما الى ذلك من التدابير المفيدة الواقية التي ينصح بها الطبيب المعالج . ويمكننا أن نلخص هذه الأمور في النقاط التالية : —

أولاً — ﴿ التدابير الصحية ﴾ :

﴿ المشي ﴾ : على المصاب بتضخم البروستاته أن يمشي كثيراً ويقوم بنزهات خلوية قصيرة تتخللها فترات راحة كافية . ويفيده المشي على الأخص قبيل النوم ليلاً مدة نصف ساعة الى ثلاثة أرباع الساعة حتى ولو كان هذا المشي في البيت .

﴿ الرياضة ﴾ : ويفيده كثيراً فائدة كبرى اجراء بعض التمارين الرياضية بانتظام في الصباح والمساء لمدة عشر دقائق ، وعلى الخصوص التمارين التي تؤدي الى ثني الفخذين على الحوض في أثناء الوقوف . وعليه أن يمتنع عن ركوب الخيل والدراجة .

﴿ الجلوس ﴾ : يمتنع المصاب أيضاً عن الجلوس الطويل ، لاسيما الجلوس على مقعد حار محشو بالقطن أو بالصوف تلافياً لاحتقان الأعضاء في التجويف البطني .

﴿ ركوب العربات والسيارات ﴾ : يحظر كذلك على المصاب ركوب العربات والسيارات والاسفار ، وإذا كان لا بد من ركوب القطار مثلاً فيجب اجتناب الجلوس الطويل على المقعد ، وإنما يقف من آن الى آخر لمدة بضع دقائق في أثناء السفر .

﴿ المكث في الفراش ﴾ : النوم الكثير مضر جداً للمصاب بهذا المرض ، وحسبه النوم سبع ساعات . ويجب أن يكون فراش النوم خشناً قاسياً محشوا بالشعر وليس بالقطن أو بالصوف . وعليه أن ينام على الجانبين بالتناوب لا على ظهره .

« الطعام والشراب » يعني المصاب عناية خاصة بموضوع الطعام والشراب، فيقلع بتاتاً عن المشروبات الكحولية والقهوة والشاي كافة ويكف أيضاً عن تناول الأطعمة المتبلة والمهيجة واللحوم المحفوظة والطيور والسمك واللحوم المقددة والمملحة والجبن المملح. ويستحسن الاقتصار مدة عشرة أيام كل شهر على تناول الأطعمة النباتية دون غيرها.

أما شرب الماء الكثير فيضر بالمصاب ضرراً بالغاً لأنه يسبب له احتقان البروستاتة، والأفضل الاقلال من شرب الماء بقدر المستطاع.

« الامساك » : من أضر الأشياء التي يجب مكافحتها، فيأخذ قدر عشرة جرامات من (ملح انكليزي) صباح كل يوم على الريق مذابة في نصف قدح ماء ساخن.

« ادرار البول » : إذا شعر المصاب بالحاجة الى التبول، لا سيما في الليل، فعليه أن يلبي الحاجة دون انتظار أو مقاومة. فاذا شعر بصعوبة في البدء فعليه أن يمشي بضع خطوات داخل الغرفة ليسهل عليه ذلك. ويمكنه أن يعوّد نفسه على التبول كل ساعتين أو ثلاث ساعات فتصبح هذه العادة طبيعية عنده.

أما الثقل الذي يشعر به المصاب غالباً من ناحية المستقيم (ويكون ذلك غالباً من احتقان البروستاته) فيمكن تخفيف وطأته باستعمال المغاطس الفاترة على العجان (أي بين الاست والصفَن)، ثم بالحقن الشرجية بالماء الساخن (١٥٠ الى ٢٠٠ غرام بدرجة ٥٠ مئوية) وينبغي أن يظل المصاب محتفظاً بهذا الماء في داخل شرجه بقدر الامكان.

ثانياً — **« العلاج الطبي »** : يقوم هذا أولاً — بتمسيد أو تدليك موضعي للبروستاته المتضخمة بيد أحد مهرة الجراحين وهذا أحسن علاج. ثانياً — يجب إدخال مجس أو قثطرة بهدوء وتأن، بوساطة الطبيب أو الجراح أيضاً في حالة احتباس البول أو نقصه، خصوصاً إذا كان المريض متضايقاً. أما إذا كان خروج البول سهلاً من المثانة، فلا حاجة لادخال المجس. ثالثاً — إذا تعذر ادخال المجس أو كان إدخاله صعباً فيجب استعمال مجس خاص، يبقى ثابتاً في المجرى البولي، وبوساطته يمكن افراغ المثانة في أوقات منتظمة اراحة للمريض. وإذا لم تأت هذه الوسائط بالفائدة المطلوبة، وكان حجم الغدة كبيراً فيلجأ عندها الى استئصالها جراحياً Srostatectomie. وتجري هذه العملية سواء من ناحية العجان أو أسفل البطن أو من الطريقين معاً وهذه من متعلقات الجراحة. وقد دلت الاحصاءات الرسمية على أن نسبة الوفيات بعد اجراء هذه العملية عن طريق العجان قد هبطت الى ٤ أو ٥ ٪، أي ربع ما كانت عليه قبلاً كما أثبت بعض خبراء الجراحين.

على هامش مشاكلنا الثقافية

الكم والكيف

في نهضتنا التعليمية

للأستاذ رضوان ابراهيم مصطفى

ما كان عجباً أن تخطو مصر خطواتها الواسعة في سبيل الثقافة بعد أن دفعتها تيارات الحياة الدولية ، ومركزها من هذه الحياة . . وبعد هذه الرجفة العالمية التي أخذت جوانب المعمورة ، وأحدثت شيئاً — غير هين ولا يسير — من التحول في تاريخ البشرية . وصحت مصر على الهول ، تتلمس الطريق نحو حياة متكاملة متسامية ، تلائم بها بين غابرها في الحضارة ، ومكانتها في الغد المنتظر .

وتلفتت تستجمع قواها للنضال ، فألفتها مفككة الأوصال ، مبعثرة الأعضاء ، ورأت الغفوة الطويلة التي منيت بها ، قد أشاعت الفتور والتراخي في أعصابها ، ورأت موكب الزمن قد سرى بالحياة والناس بعيداً بعيداً ، بينما تخلفت عن الركب ، ونامت على هدهدة الذل والاستكانة حتى فاتها القطار ، وهيهات أن تدرك !!

*

.. ما كان عجباً — إذن — أن تشعر بهذه الهوة التي تفصلها عن الحياة المتقدمة إلى أمام ، فتسارع إلى إعداد نفسها لهذه الحياة ، واستكمال النقص ، واتخاذ الأهبة .

وكان الجهل أبرز الثغرات التي تعتور بناءها ، وتوشك أن تصدعه ، فتوثبت لسدها ، وحشدت لها السواعد والكواهل وأعلنتها على الجهل حرباً عواناً لا تعرف المهادنة .

واستجابت الدولة لدواعي الحياة ، فنزلت إلى الميدان ، تحمل الراية وتقود الكتائب لهجوم قوي مركز .

استعدت الدولة، وبارك الشعب استعدادها ؛ فما أن أعدت الحكومة مشروعات تعميم التعليم، وإتاحة الفرصة لكل فرد في الأمة ان يصيب منه - على قدر ما هيأته له مواهبه وكفايته واستعداده - نصيباً يتيح له حياة حرة كريمة ...

ما أن اعلنت هذه المشروعات حتى سمعت رنين التصفيق، ودوي الهتاف يتردد بحياة الديمقراطية !!

لكن المسألة - فيما يبدو - وقفت بالشعب عند حد الأعجاب والاستحسان، فما أن جاء دور التنفيذ، وتلفتنا نتساءل : إلى أي مدى تطيق إمكانيات الدولة هذه الطفرة ؟ وإلى أي حد سيشارك الشعب في التنفيذ ؟ وما الموقف الايجـابي الذي سيقفه الاغنياء ؟ وما دورهم في تسليح هذه النهضة المباركة ؟ ...

.. ما أن وصلنا إلى هذا الحد، حتى رأينا تناقضاً عجيباً .. رأينا الدولة تندفع بحماسها المتدفق، والشعب يكف عن التصفيق والهتاف، ثم يرتد على أعقابه، ويخلفها وحيدة في الميدان، وكلما تغالت الدولة في حماسها، كلما أمعن أثرياء الشعب في الفرار من الميدان، وكأنما كان دورهم فيها دور المتفرج وحسب. وكان آخر الأنباء أن تكفلت الدولة بنفقات التعليم العام وجعلته حقـاً مشاعاً لكل أفراد الأمة، جاعلة هدفها ألاّ يقل المستوى الثقافي لأى فرد في الدولة عن هذا القدر من التعليم الذي يستطيع في ضوئه أن يرى الحياة كما هي.

كما كان آخر الخطوات المتخاذلة من الحلفاء الأعزاء، الانسحاب من المعركة، والانكماش عن المعونة، والأحجام حتى عن الهتاف والتصفيق. ولقد أدار الأغنياء ظهورهم حينما دعتهم الدولة أن يؤازروها في تثقيف أبنائهم، ورفع مستوى أمتهم، ونحن لا ندري لماذا وإن كان سلوكهم من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تعليل أو تدليل. لقد استجابوا للدعوة حينما كانت الاستجابة كلاماً يلقى بلا تبعة، وآمنوا بها حينما لمحوا من خلالها النفع الشخصي، وتراءت لهم في ثناياها أشباح الغنى والثروة، أو مظاهر العظمـة الشخصية الـكاذبة.

فلما عنتهم الدولة بدعوتها، ورأوا أن ثمن البطولة غال، وضريبة العظمة فادحة - تنكلوا عنها، وتراجعوا عن نصرتها، ووقفوا منها موقف أبي خالد الذي قال فيه شاعره : -

يحب المديح أبو خالد ويهرب من صلة المادح

. . . .

ومهما يكن من رهق وإعنات، فقد سارت الدولة في طريقها غير مترددة، ولا متخاذلة،

فعممت التعليم ، وقررت المجانية ، ويومئذ أشفق المشفقون . المشفقون على موارد الدولة إن سارت إلى نهاية الشوط ، والمشفقون على كرامتها إن هي تراجعت عن وعودها التي ارتبطت بها أمام العالم .

لكنها لم تتراجع ، بل أصرت على أن تواصل التجربة إلى النهاية، فكان أن أرهقت ميزانيتها ، وما بلغت بغيتها مما تريد. لا ننكر أنها قد استطاعت – بكثير من الضغط العنيف – أن تغتصب لكل طالب مكاناً ما ، في مدرسة ما .. !! ولكن مشكلة التعليم لا تحل بإيجاد مكان ما ، في مدرسة ما ، وإنما هي أبعد وأخطر من ذلك . ولكن ماذا تستطيع الدولة أن تصنع ، وهي لا تملك غير ذلك ؟ علم ذلك عند أثرياء هذه الأمة !!

ليس هذا مقام الواعظ الذي يحث الناس أن يتبرعوا لتعليم أبنائهم ؛ فلا يضنوا عليهم بشعاع من النور يلقونه على طريقهم الشاق المظلم الطويل في حياة المستقبل ، وأن يصوغوا من أموالهم الزائلة دعائم خالدة ثابتة في صروح الوطن والإنسانية .. وليس مقام المستجدي ، الذي يناشد الناس عطفهم على النهضة التعليمية الوليدة.

ولكنه مقام النذير الذي يفتح العيون والآذان على الخطر المحدق ويبصّر بسوء النتائج منذ البداية ، ما دامت المقدمات التي لديه تؤكد سوء المصير .

*

هل الأمة شاعرة بحاجتها إلى التعليم ، جادة في تثقيف أفرادها ، إن كانت مؤمنة بذلك فلا مناص من المشاركة في هذه النهضة مشاركة فعّالة تدفعها إلى الأمام ، ولا بد من تقديم العون الفعّال الكفيل بنجاحها – لا بدَّ من الأموال الكافية والأماكن المعدة الملائمة وكفى الحكومة أن تجهد جهدها في تقديم الفنيين ، ورسم الخطط وإعداد المناهج، ودعم النهضة وتوجيهها ، وتثبيت أركانها .. وان كانت الأخرى – وأعيذها بالله من شرها – وكانت الأمة غير مؤمنة بالتعليم ، وإنما ارادتها جعجعة بلا طحن وألفاظاً ذات رنين أجوف وخيل اليها أن الدولة قادرة أن تمس أبناء الأمة لمسة سحرية ، فإذا هم – في طرفة عين ... متعلمون ، وضغطت ضغطها على حكومة تستدعيها نهضة البلاد أن تعني بجميع المرافق العامة على السواء ، ومالية ترهقها المطالب الحيوية الفعّالة في مستقبل حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ... إن أبت الأمة الا هذا ، فلا مفر للحكومة أن تخادع الناس وتخادع نفسها ، فتحشر التلاميذ في المدارس وكفى ، ثم تخرج الى الأمة باسمة بسمة النصر ، لا لأنها استطاعت أن تحل مشكلة التعليم ، بل لأنها سخرت من عقول الناس وصرفتهم عن

حل المشكلة، ثم ترضى عن نفسها: ويرضى الناس عنها؛ لأنها أوجدت لأبنائهم أماكن في المدارس، ويرضى عنها التلاميذ، لأنها وضعتهم في مدارس لايتعلمون فيها، بل يقضون جزءاً من يومهم في العبث والتسلية، ويرضى عنها البرلمان، لأن ضغط الوسطات والشفاعات من أولياء الأمور على النواب والشيوخ قد تخلخل أو تلاشى.

*

وإلا فماذا تصنع المدرسة التي تستوعب عشرة أمثال ما تحتمل مبانيها ومرافقها وأدواتها؟

وماذا يصنع المدرس لخمسين أو ستين تلميذاً يتكدسون في حجرة الدراسة بلا نظام ولا ترتيب؟

وكيف تستطيع إدارة المدرسة أن تشرف على هذا الحشد الحاشد، نفسيًّا، واجتماعيًّا وخلقيًّا، وصحيًّا وثقافيًّا.. على ما فيها من نقص في العدد، والوسائل، والكفاية في غالب الأحيان؟

وماذا تصنع الوزارة إزاء ضغط الشعب وإرادته، وقد ارتبطت في سياستها برغائب الشعب وإرادته، حينما اصطنعت الديمقراطية أساساً للحكم وارتضت تكاليفها؟

وما هي النتيجة المرتقبة بعد كل هذا؟

جواب ذلك كله عند القادرين من أبناء الأمة. والوزارة إن فعلت ذلك فهي مضطرة أن تفعل؛ مضطرة أن تلائم بين حاجة البلاد إلى الثقافة، وحاجة الثقافة إلى الوسائل، وبممالأة الأمة — مصدر السلطات — في فكرتها الخاطئة، التي تحتم تقديم الثقافة لأبناء الأمة بلا وسائل، ولا معدات.

بيد أن الوزارة التي ترضي لنفسها أن تستجيب لرغبات الشعب على حساب مستقبل الوطن، وتسكت صيحاته، وتحل مشاكله على هذا النحو — مقصرة في ذات نفسها، ومقصرة في حق هذا الشعب أبلغ التقصير.

والشعب الذي يطالب الوزارة أن تحشر أبناءه في المدارس فحسب.. الشعب الذي يريد أن يأخذ ولا يعطي، ويرى أنه أفلح في انتزاع حقه من الحكومة بهذا الأسلوب، وأنه غلبها حين استبد بها فأرغمها على قبول أبنائه في المدارس بالمجان.. ذلك الشعب يقامر بمستقبل الوطن؛ فإن تلك صفقة خاسرة، غبن فيها نفسه أولاً، والوطن ثانياً،

والضحية فيها – أولاً وأخيراً – هم الأبناء الأبرياء ، وهو مستقبل الوطن المنكود الذي ينتظر جيلاً مثقفاً ثقافة حقة يبني عليها مجداً ثابت الأساس ، ويتخذ منها نوراً هادياً يمشي به في الناس .

*

من واجب وزارة المعارف أن تبصر الناس بالخطر المحدق الذي ينتظرهم ، وقد أعذرت حينما استنهضت همم الناس فلم تنهض ، ثم استدرت عطفهم فلم يدر ثم أنذرتهم فلم يسمعوا . ومن واجب القادرين الغيورين على مستقبل الوطن أن يحوطوا النهضة ويباركوها قبل أن تذوى وتتبدد ، وتصبح خبراً مؤسفاً يستدر الدموع أو يلهب الحسرة .

*

إننا من المؤمنين بالطفرة المتوثبة في وسائل الإصلاح ، مهما يحف بها من أخطار وأهوال ومخاوف !! .. وماذا يفعل المتخلف العجلان إلا أن يقفز القفزات السريعة العاجلة حتى يدرك ركب الحياة !!؟ ونحن كارهون أبلغ الكره أن نتراجع عن خطوة خطوناها ولو في طريق وعر ، أو نجلو عن شبر من أرض كسبناها ولو في مملكة الجن .

لكن الوضع القائم لدينا أننا شدنا صرحاً ضخماً على أرض غير متماسكة ، فأما ثبتنا الأساس ودعمنا الأركان وإلا تداعى فتهاوى ، فعاد أنقاضاً تحت أسماعنا وأبصارنا ، ويومئذ نصلى نار الحسرة على ما فرطنا في حقوق وطننا ، وعلى ما بدا منا من حمق وتخاذل .

وأنا أستعيذ بالله أن تبلغ بنا الغفلة والحمق أن نعيد قصة الأحمق الذي أطلق الذئب الأسير :

يحكى أن ذئباً سكن أحد بساتين وزارة الزراعة ، وكان يغير على فلاحيه ليلاً فيفجعهم في أغنامهم وطيورهم وشاء الله أن يمر الذئب ليلة ، فيمد رأسه في جرة الماء ليشرب ، وينحشر رأسه في عنق الجرة ، ويظفر به الفلاحون في الصباح على هذا الوضع المضحك ، فيفرحون ، ويتشاورون في ابتكار حيلة طريفة للقضاء على هذا العدو ، تشبع فيهم رغبة الانتقام ؛ بالتشهير والتنكيل ، ثم التمثيل وبينما العقول تكد في ابتكار الطريقة ، انبرى أحمقهم ، فأهوى بعصاه على رأس الذئب ، فأصابت الجرة فحطمتها ، وفر الذئب ناجياً بسلام

والجهل عدونا الألد ، وقد ظفرنا به أيها الناس ، فلا تدعوه يفلت من قبضتنا الحديدية ، حتى لا ينبعث في كياننا هائجاً فتاكاً مدمراً وحسبه منا الملايين العديدة

من ضحاياه ، وحسبنا منه ما أرهق من كواهلنا ، وما أزهق من حضارتنا ، وما أذل من أعناقنا .

*

بقيت مشكلة الكم ، وهي مشكلة يضج منها المعلمون والنظار والمفتشون والمراقبون ويشكو منها الفنيون والاداريون ويشكو منها كل مشتغل بالتعليم وكل مهتم بشئونه ، وكل مشفق عليه . يتضح ذلك من التقارير التى تسجل النقائص والمعايب التي تشوب حركة التعليم ، وتكاد تودي بجدواه من جراء تكدس الطلبة في الفصول ، وتكدس الحصص في جداول المدرسين وعدم كفاية المقاعد والأبنية والأفنية والأدوات والمعامل والأساتذة والمشرفين .

وما زالت الحال تزداد سوءاً على سوء ، وما زالت التقارير تترى منذرة بالخطر ، محذرة من سوء المصير الذي ينحط إليه التعليم نتيجة لذلك الضغط المتزايد ، وقد اتفقت الآراء على أن ذلك مهدد لكيان النهضة التعليمية ، معوق لها عن بلوغ الهدف ، مصيّرها الى وهم من الأوهام ، وستار جامد من الرسميات يخفي وراءه العيوب والمآسي .

*

وما زال المسئولون يرفعون هذه التقارير وتلك الشكاوى يوماً بعد يوم ولكن إلى من يرفعونها ؟ إلى وزير المعارف ؟ إنه هو الآخر يشكو سوء الحال ، ويشفق على مستوى التعليم أن ينزل إلى درك أحط ، ويسجل أرقاماً جديدة في الانحدار .

ولكن الذي لم يشك من هذا الموضع هم أولياء أمور الطلبة ، لا لأنهم مطمئنون إلى كل هذا ، بل لأنهم يجهلون كل هذا كما يجهلون نتائجه ، ولو اطلع أولياء الأمور على ما يعانيه التلميذ ، وما يكابده المعلم ، وما تشقى به الادارة ، لأثروا أن يعفوا أنفسهم وأبناءهم ومعلميهم من هذه المهمة الشاقة العسيرة القليلة الجدوى ، ولكنهم لن يفعلوا ، لأن المسألة في نظرهم : شيء خير من لا شيء ، ووجود أبنائهم داخل المدارس بلا تعليم ، خير من بقائهم خارج المدرسة لما يستتبعه من تبعات مادية وأدبية .

إن سياسة إلقاء الوزر على الحكومات ، وتحميلها كل تبعات الحياة ، لم تعد سياسة صالحة لهذا الزمان ولا لذاك المكان ولكننا ما زلنا نصطنع هذه السياسة التي أضرت بنا أبلغ الضرر ، فأولياء الامور يحسبون أن واجبهم ينتهي عند ما يقذفون بأبنائهم إلى أبواب المدارس ولا يعلمون أن ذلك بداية المتاعب والمشقات المشتركة بينهم وبين

المدرسة . . بداية التعاون على خلق الجيل الكامل الذي سينقذ الوطن مما تورط فيه من مشكلات، سببها الجهل لذي تخلف بنا قروناً عن قافلة الحضارة التي صرفنا زمامها يوماً ما.

إن المسألة أخطر من كل هذا . ليست لهواً يديره أولياء الأمور مع وزارة المعارف ولا هو خدعة توشو بها الوزارة هذه الأصوات المرتفعة ، لا ! ولا هو لافتات توضع على بناء تشير إلى أن هنا مدرسة ، ولا فصول تزاد في المدارس القديمة على حساب مرافقها وملاعبها وأفنيتها ، ولا مقاعد تحشر في الفصول أو تلصق بالجدران ، ولا أعداد تتضخم على حساب النظار والمعلمين والمشرفين والمعامل .. إن هذا هو السرطان الهدام في كيان التعليم ، والمعوق عن الثقافة .

والنتيجة ؟ .. النتيجه المؤكدة أن هذه الأرقام التي تتضخم وتمتد على طول الخط ، تعود فتنكمش وتتضاءل عند ظهور نتائج الامتحانات — على فرض صلاحيتها مقياساً للثقافة — والنتيجة المستتبعة أن ترتفع قبل الامتحان أصوات خافتة تطالب بتخفيف المناهج، وبعده أصوات عالية تطالب الحكومة بتحسين النتائج ، كما تعهدت بفتح المدارس ، واستيعاب الصالح وغير الصالح من أبناء الأمة ، ويومها تلقى التهم إلى المسئولين ، ويلقى المسئولون التبعة — بدورهم — إلى المدارس ؛ إداراتها ومعلميها .

وينصب السخط واللعنات على رءوس المعلمين ، ويرمون بأشنع الاتهامات ، ويلجأ أولياء الأمور إلى أبغض الحلال يومئذ ، وهو الدروس الخاصة ، وتروج هذه السوق التي أفسدت الطلبة والمعلمين وأولياء الأمور معاً ، وأوجدت من الحقد بين هذه الطوائف ما بين مصر وإسرائيل والعياذ بالله مرة أخرى ، ثم ينتهي الأمر بأبغض الحلال والحرام معاً ، وهو محاولات الطلبة أن ينجحوا بأي طريق ولو على أسنة الرماح ، وتسجل التقريرات الرسمية حالات وحالات من الغش أو محاولاته أو الشروع فيه .

وتسري هذه التيارات المدمرة بين الشباب المائع الذي يريد أن يأخذ الحياة بقوة السواعد فيما لا تجدي فيه القوة ، وبالعبث واللهو فيما يستوجب الجد والبذل والكفاح .

ثم ماذا ؟ ثم تتحول هذه الهزلية إلى مؤامرة محبوكة الأطراف ، الضحية فيها هو الوطن المنكود بشبابه ؛ لأن هؤلاء يخرجون إلى واقع الحياة الوطنية بأسلحة زائفة ؛ يهزلون بمسائله الكبرى ، ويلعبون بمصائره ، ويهزأون بتبعاته فيضربون بأعبائه عرض الطريق ، ويعبثون بمقدساته ، ويخونون أماناته ، وينقضون مواثيقه .

وما الفساد والرشوة والاختلاس والإهمال والفوضى والجرائم المتفشية في أخطر

وأقدس التبعات الوطنية — إلا نسل عاق لهذه التربية اللقيطة .

وما ظنك بأستاذ مقدر له ، بل مفروض عليه أن يتبنى طلابه ويخالطهم ، ويبصرهم بالمثل العليا ، ويربيهم تربية مثالية ، بالاضافة إلى تثقيف عقولهم ، مع ما يتطلبه ذلك من دراسة نفسياتهم ، وعلاج مشكلاتهم ، وتقويم الشواذ منهم ، ليجعلهم مواطنين صالحين ... ما ظنك به وقد يمضي العام كله فلا يكاد يعرف أسماء طلابه ولا سماتهم ، ولا عاداتهم ؛ إذا حياه أحدهم في الطريق ، فكر وقدر وأجهد فكره سائلاً : أين قابلت هذا قبل اليوم ؟ وله العذر كل العذر ، ما دامت ذاكرته تضيق عن حصر المئات من هؤلاء الطلاب وينسيه أولهم آخرهم .

*

لا فكاك لنا من هذا الخطر إلاّ بأن نكون واقعيين ، نواجه الحقائق ولا نتعامى عنها ، ونؤمن بما آمن به كل إنسان ؛ وهو أن الأساس الذي ندفنه في الأرض ونهيل عليه التراب هو الدعامة التي يقوم عليها البناء شامخاً متطاولاً ، وبدونه يصبح البناء وهماً من الأوهام واقتصاد حصاة من الحصيات ، أو البخل بقرش واحد على هذا الأساس قد يكون معناه خسارة محققة في القروش وآلافها ، وفي الحصيات وأحجارها .

ليفتح سادتنا عيونهم وخزائنهم ، وليعلموا أن معالم السيادة قد تغيرت وحال حالها ، فما عادت بتجويع الشعب ، أو تركه يعيش في الظلام أو سوقه سوق القطيع ، إنما سيادتهم الحقة مستمدة من سيادته ، وسيادته تعتمد على عقلية مثقفة تغذي انسانيته وتمكن لها .

وخير لهؤلاء السادة أن يعتمدوا على انسانية هذا الشعب بدل أن يعتمدوا على القوة البهيمية المسخرة لتمهيد الحياة الناعمة الوادعة لهم . فانه ليوشك أن تجمح هذه البهيمية فلا تبقي ولا تذر .

وخير لهؤلاء المترفين أن يؤدوا «ضريبة الفكر» مختارين حتى ينشأ الجيل الذي يفكر لهم في استمرار هذا الترف وهذا النعيم في عصر الأثير والذرة بأساليب الذرة والأثير .

*

أيها السادة .. لقد حكمتكم المادة أجيالاً وأجيالاً فأفسدتكم وأفسدت بكم الحياة ، فهدوا لحكم الفكر والثقافة ، ثم قارنوا واحكموا : أي الفريقين خير مقاماً وأسعد مآلا ؟!!

نظرات في النفس والحياة

- ٣٠ -

تتمة نظرات السير أرثر هلبس

للأستاذ ع . بش

(٤٣) كثيراً ما يكون المرء حتى من كانت عنده شجاعة خلقية كبيرة أداة يحركها غيره أو قرباناً وضحية على مذبح الخداع كما يحدث في عالم السياسة أو في الحياة اليومية المعتادة وينبغي للمرء أن يمضي في عمله وفكره لا يبغي تمجيداً ولا حسن ذكرى غير آبه لمدح الناس أو ذمهم فان طاعة الناس ابتغاء مدحهم قد تكون هزيمة لشجاعته الخلقية.

(٤٤) إن الرجل العملي على كثرة مدحه في هذا العصر الحديث كثيراً ما يتقدم بفكرة واحدة غالبة عليه ليهدم مبدأ عظيماً فيكون مثله مثل من يقطع بخيط وجرأة رباط عقد ثمين لأنه لا يستطيع أن يسلك فيه حجراً يعده من الأحجار الكريمة وقد يكون زائفاً غير كريم فينقطع العقد وتنتثر حباته وقد تضيع بعض أحجارها الغالية الثمينة.

(٤٥) إن الأسباب التي يتقدم بها اليك انسان لتفسير سلوكه كثيراً ما تخفى رأيه المستتر فيك فانه يتقدم بالأسباب التي يظن انها توافق أخلاقك وترضيك.

(٤٦) مما يزيد في تواضعنا تتبعنا سلسلة الحوادث الماضية في حياتنا حتى نصل الى السبب الأول فنجد سبب سعادتنا أو تعاستنا سوء تفاهم تافه أو تأخر طرفة صغيرة أو أشباه ذلك من الحوادث التي تدل على سخر الحياة إذ أن السعادة أو التعاسة ليست مؤسسة دائماً على أسباب هامة كبيرة.

(٤٧) يشعر الناس بنوع من الغرور والاعجاب بالنفس يدعوهم الى الغرور بشراستهم والاعجاب بقلة أدبهم اذ يحسبون ذلك فضيلة فيهم تجعل الناس تهابهم فيمعنون في الشراسة وقلة الأدب ويعتبرونهما ميزة لهم وحقاً.

(٤٨) إن القرد يحاكي لمهارته في المحاكاة والأغنام تحاكي لأنها ليس عندها عزيمة وعقل ولكن الانسان هو المخلوق الذي قد يحاكي الأمر الذي يكرهه وما يعرف أنه خطأ خشية لوم الناس

(٤٩) مما يدل على جلال الصدق وضرورته ان الانسان إذا كذب مرة تحايل بالكذب

مرة أخرى كي يثبت أنه كان صادقاً في المرة الأولى فيمعن في الباطل كي يخفي كذبه ويكون كالحيوان الذي يحفر جحراً عميقاً كي يختفي فيه عن الناس، وعمل الانسان هذا قد يكون سببه الرغبة في الظهور بالكمال أو قد يكون مؤسساً على اعتباره أن الكذب مكروه متساو في شناعته فاذا كذب كذبة صغيرة شفعها بأخرى كي يخفيها، والعاقل من يعرف ان كل انسان به شيء من الباطل فلا يجد داعياً لأن يتورط في الباطل، فيكون شبيهاً بمن ريق الحبر على ثيابه كي يخفي بقعة منه عليها .

(٥٠) إنك إذا أكرمت انساناً وكان اكرامك اياه يجلب لك منفعة ومسرة فانك لاتستطيع أن تنال دائماً اعترافه بجميل ما صنعت، لأنه قد يحمله على محمل ارادتك المنفعة والمسرة لك، لا نقمه و إكرامه بالجميل الذي صنعت معه.

(٥١) إن الناس كثيراً ما ينفرون ممن لا يخطيء أبداً ويسيئون به الظن، كما ينفر الناس ممن عنده ذلاقة يستطيع أن يثبت بها أنه دائما على حق .

(٥٢) اذا خدعك من حولك كثيراً فاعلم أنك خليق بأن تخدع، إما لضعفك وتصديقك كل ما يقال لك ، وإما لطغيانك وعدم السماح لهم أن يسمعوك ما تكره سماعه .

(٥٣) إن من الضعف أن تخفي عمن تستشيره فيه خشية أن تطلعه على اسرارك التي تود أن تبقى خافية ، وأضعف من ذلك أن تأخذ برأيه ونصيحته عند ذلك، لأن رأيه يكون مؤسساً على ما أبديت له دون ما أخفيت عنه .

(٥٤) لا تطلع أحداً على سر قد يضره كتمانه اذا عرف أنه كان يعرفه، فان الحذر كثيراً ما يدعو الى افشائه تجنباً للضرر، ولا تحسب ان طلب العطف والمعاونة يسوغ إطلاعك إياه عليه، ولا تطلع أحداً على سر يزداد عظمة وربحاً بافشائه، فان حب المفاخرة أو الربح كثيراً ما يغلبان الأمانة.

(٥٥) كثيراً ما يأخذ المرء بالفكرة الشائعة من غير تمحيص أو بحث، ثم يجادل ويدافع عنها بكبر وازدراء كأنه أفنى عمره في تمحيصها وبحثها .

(٥٦) قد يُصر الرجل بعد غضبه على صدق كلمات قالها في حالة فورة غضبه ولم يكن يريد الأخذ بها لولا ذلك الغضب، فيكون مثله مثل من انتقل من حالة هذيان مؤقت الى حالة جنون دائم.

(٥٧ من الغريب أن الناس لا يتقاتلون ولا يتعادون كما يفعلون ذلك في الأمور العويصة الغامضة التي لا تدركها عقولهم مثل أمور ما وراء الطبيعة، مع أن عدم فهمهم إياها كان ينبغي أن يعلمهم التسامح .

(٥٨) ليس في الناس مخدوع مثل من يخدع نفسه بمعرفة نصف خداع المخادع وهو يظن أنه يعرف كل نواياه ومقاصده .

(٥٩) إن كلمة (الناس) كثيراً ما يقصرها المرء على طائفة قليلة حوله أو على إنسان أكثر منه ذرابة ومنطقاً وهذا ما يصنعه اذا فعل شيئاً أو قال قولاً يريد تأييده فيقول إن الناس يريدون ذلك أو يفعلونه — وهذا مثل كلمة (الشعب) التي كان المتطرفون في عهد الثورة الفرنسية الأولى يطلقونها على حثالة الرعاع من الباريسيين .

(٦٠) إن عبد العادة القديمة قد يسخر من عبد الأمور المستطرفة الحديثة السارية وكلا الأمرين رق ما دام عقل المرء مغلول بما يتبع .

(٦١) كثيراً ما يمقت الناس من يدعي الفضل ويخافون ممن يحاول الظهور به ويحسبون إن ذلك إساءة اليهم وتحقيراً لهم ، مع أنه قد يحاول بما يظهر به التقرب اليهم وإيناسهم وطلب العطف ونيل الرضا . وقد ننسى أن الرجل قد يقول السخر وتحت ذلك السخر قلب رحيم . كما قد ننسى أن كثيراً من الناس مختلفون عنا فليس عندنا وسيلة للحكم عليهم .

(٦٢) لكي يمنع الانسان كبح نفسه عن الرذائل من أن يبعث فيه الغرور وما يجره الغرور من الآثام ينبغي أن يتأمل الهاوية التي كان على وشك ان يقع فيها لو أنه لم يكبح نفسه عن الرذائل بدل الشعور بالكبر والغرور واضطهاد الناس .

(٦٣) الصدق هو أعم مظهر من مظاهر أنكار الذات وأكثرها تنوعاً لأنه كثيراً ما يعترض بين المرء وبين ما يحب، ولكن المرء كثيراً ما يخفي بعض الحق حتى ولو كان صريحاً ببعضه إذ يرى أن إخفاء القليل الذي يعده تافهاً قد يؤدي الى كسب محقق أو يتفادى باخفائه خسارة يرى أنها محققة فيخفيه استهانة بتفاهته، حتى ولو أدى ذلك الى سوء فهم للأمور، وقول الحق لا يكون الا بعقل متزن لأن التضليل قد يكون سببه المبالغة التي تكون طبعاً في النفس. أما الاندفاع في القول فهو تضليل غير مقصود ولكن ذلك لا ينقص من ضرره. وقول الحق ينبغي أن يؤدي الى أن يزداد المرء معرفة بنفسه كما ينبغي أن يؤدي الى قدره غيره قدراً صحيحاً . ولو عرف الناس نفوسهم لتسامح بعضهم مع بعض وبطل الاضطهاد .

(٦٥) إن الطبع يجمع بين الصراحة في القول والحذر والاحتياط من أن يفهم السامع أكثر مما يعني بقوله لا يتهيأ إلاّ لمن كان سليم المقاصد والأعمال، وكان يقدر قدراً لطيفاً دقيقاً احساسات غيره، وهذه صفات تدله على ما يجوز أو يحكي عن أمور نفسه وما يجوز أن يتحدث به عن أمور غيره بصراحة مقرونة الى الحذر والاحتياط .

البطليوسي

— ٢ —

للدكتور محمد يوسف موسى

كان لا بد للبطليوسي وقد تصدى لمسألة التوفيق بين الدين والفلسفة ، أن يعالج ، بعد المشاكل التي تحدثنا عنها في العدد الماضي ، مشكلة الصلة بين العقل والوحي ، ومشكلة النفس وخلودها وعلى أي نحو يكون هذا الخلود في الدار الآخرى ، وهذا هو موضوع مقال اليوم ، ثم يعقب هذا كلمة نقدية عن قيمة عمله وتقديره .

﴿ العقل والوحي ﴾ بتحديد البطليوسي لخواص النفس الفلسفية ومهمتها ، وخواص النفس النبوية والدور الذي لها (١) ، نستطيع أن نفهم أن لكل منهما حدوداً خاصة ، وان العقل محدود القدرة ، فهو يقف عاجزاً أمام بعض الأمور التي تجيء عن الوحي .

دور العقل ، أو النفس الفلسفية كما يقول ، هو معرفة الحقيقة التي تنشدها الفلسفة ، ومعرفة أسباب الأشياء وعللها . ومهمة الوحي ، أو النفس النبوية ، هي الاتصال بالعقل الفعّال وتلقي الوحي ، واكمال الفِطر الناقصة بوضع السنن والتشريعات ، وتعليمنا ما يعجز العقل عن علمه ومعرفته . وهنا يسوق قولاً لأفلاطون عن عجز العقل عن فهم ما جاءت به الشرائع ، وآخر لأرسطو عن وجوب التسليم لما جاءت به (٢)

من هذا نفهم أنه يذهب إلى علو مرتبة النبي عن الفيلسوف ، بل إنه ليؤكد بصراحة أن النفس النبوية أشرف النفوس ، وأنه لا يتفق أن توجد إلاّ في ذوي الفطر الكاملة (٣) كما يؤكد بعد هذا أن النبوة إلهام لا اكتساب (٤) . وهذا وذاك ، أي أن النبوة ليست اكتساب ، وأن النبي أعلى من الفيلسوف ، ذهاب صريح إلى ما تقوله الشريعة في هذه الناحية . وبذلك صح فيه ما قاله الفتح بن خاقان ، من أن بصره بالعلوم القديمة ما خرج به

---

(١) كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة ، نشر عزت العطار بالقاهرة سنة ١٩٤٦ ص ١٦ — ٢٠ (٢) نفس المرجع ص ١٩ (٣) نفس المرجع ص ١٩ (٤) نفس المرجع ص ٢٠

عن السنة والشريعة .

﴿ **خلود النفس والبعث** ﴾ هنا ، أخيراً ، نجد البطليوسي يعني بذكر جملة من البراهين الفلسفية على بقاء النفس بعد مفارقة الجسد ، وهذا ما لم ينازع فيه أحد من علماء الدين ، وهو — كما يزعم — مذهب سقراط وأفلاطون وأرسطو وسائر زعماء الفلاسفة الاغريق !

والمقام بطبيعة الحال ، لا يحتمل ايراد هذه البراهين كلها . ولكنا ، مع هذا ، نشير من ذلك إلى ما يراه في البرهان الثاني من أن الجسم ليس حيّاً إلاّ بالقوة ، ولا يصير حيّاً بالفعل إلاّ بجوهر آخر غيره هو حيّ بالفعل ، وهذا الجوهر الآخر هو النفس ؛ وإذاً ، تكون النفس حية بالفعل ، وما هو كذلك لا يعدم الحياة . وكذلك نشير إلى البرهان الخامس الذي يتلخص في أن الانسان مركب من جوهرين : جوهر حي بالطبع وهو النفس ، لأن في طبعها قبول المعارف والعلوم ؛ وجوهر موات بالطبع وهو الجسم إذ ليس في طبعه قبول شيء من ذلك . فاذا افترق هذان الجوهران بالموت ، خلص للجسم الموت المحض الذي هو طبعه ، وفارقته الحياة العرضية التي كان استفادها من النفس ؛ كما يخلص للنفس الحياة المحضة التي هي طبعها ، وفارقها الموت العرض الذي كان عرض لها بسبب استقدارها في الجسم في الحياة الأرضية (١)

هذا ، ومن المهم هنا أن نشير إلى أن البطليوسي احتفل في رسالته هذه (كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة) باثبات خلود النفس بأدلة فلسفية ، لأن البراهين الشرعية لا تليق بهذا الموضع كما يقول . ونعتقد أن البطليوسي احتفل بهذه المشكلة والتدليل عليها لأهمية القول بخلود الروح ليكون لها جزاؤها الآخر (٢) كما جاء في الدين ، ولأن الفارابي تردد في القول بذلك فأثار كثيراً رجال الدين .

ونحن نقول بأن الفارابي استمر حقيقة طول حياته متردداً بين الذهاب إلى القول بخلود الروح ، أو الى القول بفنائها بفناء الجسم ما دامت هي صورة له . إنه يرى من الخطأ أن ننسب إلى أفلاطون القول بخلود الروح استناداً الى ما جاء في محاورة « فيدون » ؛ لأن أفلاطون في رأي الفارابي حكى هذا عن سقراط لمناقشته ، وهذا ما لا يعتبر دليلاً على أن أفلاطون نفسه يرى خلود الروح (٢)

على أن أفلاطون وإن شك في بعض محاوراته الأولى في خلود الروح ، فقد عاد فأكد الخلود . بل إنه في محاورة فيدون نفسها ، يجعل الخلود شرطاً لا بد منه للمعرفة ، كما يجعلها

---

(١) كتاب الحدائق ص ٦٤ — ٦٥ (٢) مجموع فلسفة الفارابي ، طبعة ليدن ، ص ٢٠

في الجمهورية أساساً للحياة السياسية والأخلاقية . أما المعلم الثاني (الفارابي) فقد ظل طول حياته متردداً في هذه المسألة ، ولذلك نقده بشدة بعض فلاسفة المسلمين كابن طفيل وابن سبعين على ما هو معروف ؛ الأول في روايته الفلسفية حي بن يقظان ، والثاني كما يذكر الأستاذ « ماسينيون » في كتابه : نصوص لم تنشر ص ١٢٩ .

وإذا كان عيب على الفارابي تردده بل تناقضه ، فان تلميذه ابن سينا لم يجد بعد أن ذهب إلى جوهرية الروح وروحانيتها — أي عناء في التدليل على خلود الروح بعد فناء الجسد الذي هو آلة لها ، إذ لا يلزم من فناء الآلة فناء الروح الذي تستخدمه (١) ولأن النفس لا تقبل الفساد بطبيعتها ، لأن كل ما هو كائن قابل للفساد نجد فيه مبدء من : الحياة بالفعل ، والفساد بالقوة ، ومن هنا يعتريه الفساد بعد الكون . أما النفس ، وهي بطبيعتها جوهر بسيط ، فلا تقبل الفناء ، أذ ليس فيها أي عنصر من عناصره (٢)

﴿ خاتمة ونتيجة ﴾ هكذا ترى في الاندلس البطليوسي ينهض قبل ابن طفيل ، بل أيضاً قبل ابن باجه ، ليحاول التوفيق بين الحكمة والشريعة ، وهكذا تراه قبل ظهور الغزالي بالمشرق ، يخالف الفارابي وابن سينا فيما ذهبا اليه خاصـًا بعلم الله تعالى .

ثم تراه أحس ، كما أحس ابن رشد من بعد ، ضرورة تحبيب فلاسفة اليونان للمسلمين حين زعم أن سقراط وأفلاطون وأرسطو من الفلاسفة القائلين بخلود الروح وبالتوحيد وحين اعتقد أن محاورة « طيماوس » هو التعبير الحق عند فلسفة أفلاطون في خلق العالم ، نذهب إلى أن أفلاطون يرى علم الله بكل شيء وأن العالم محدث (٣)

ثم نراه أخيراً يؤكد علوّ النبي على الفيلسوف ، وأن النبوة إلهام لا اكتساب . ومذهبه في هذا صريح متماسك ، على غير ما نعرف عن الفارابي من أن مثل هذا الرأي لا يتفق مع مجموع فلسفته النظرية كما يرى دي بور في كتابه تاريخ الفلسفة في الاسلام .

وختاماً ، لسنا نزعم أن البطليوسي كان طريفاً فيما ذهب اليه من وجوه التوفيق بين الفلسفة والشريعة ، بل غرضنا هنا — كما كان بالنسبة للسجستاني من قبل بالمشرق — أن نشير الى أنه من الواجب على مؤرخ الفلسفة الاسلامية أن يدخل في دائرة بحثه مفكرين من هذا الطراز ليسوا حتى الآن معروفين في دائرة التفكير الفلسفي ، وألا يقصد كما جرت العادة حتى الآن — ببحث الفلاسفة المشهورين أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد .

---

(١) النجاة طبعة المكاوي والكردي بمصر عام ١٣٣١ هـ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٦

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٠٦ — ٣٠٩ — الاشارات ص ١٣٨ نشر ليدن سنة ١٨٩٢ .

(٣) كتاب الحدائق ص ٥٦ — ٥٧

عجائب المخلوقات

عروس البحر

أو الجنية في عرف الريفيين المصريين

للأستاذ عوض جندي

حيوان بحري يتغذى بالحشائش البحرية المغذية التي تنبت تحت سطح الماء . وهو لطيف ، سهل الاستئناس ، لذيذ اللحم . وتسمى أنثاه « حورية الماء أو بقرة البحر وهي من الحيوانات الأليفة اللبون . وتشبه عجل البحر في طول جسمها . وليس لها أعضا خلفيـة ، بل ذنب عريض مستدير ، يقوم لها مقام المقذاف فيدفعها إلى الأمام حين تسبح . وجلدها صفيق . وتبلغ ثخانته نحو قيراط « بوصة » ويختلف طولها من ١٥ قدم الى ١٨ قدماً . وتقوم أعضاؤها الأمامية مقام اليدين . فتحمل بها الأنثى صغارها حين ارضاعها اياها . وعندما تظهر فوق سطح الماء لتتنفس تبدو كامرأة تستحم في الماء .

ونحن نكتب هذه السطور وأمامنا في المرجع الانكليزي صورة ابن البحر . وذلك نقلا عن رسم قديم رسمه المؤرخ امبروزينوس . وهو يمثل ذكر بقر البحر أوفى تمثيل . وفي هـذا الصدد يقول المؤرخ نفسه « كان سكان الأقاليم المحيطـة بالبحر الأحمر ، يزعمون أن حوريات الماء ، هي من فلول جيش فرعون ، التي نجت من الغرق في البحر الأحمر ، حين كانت تقتفي آثار بني اسرائيل »

فبنت البحر إذن ، هي المصدر الحقيقي للأساطير الموضوعة بشأنها . ومنها زعم بعض القدماء أنهم شاهـدوها خارجة من البحور ، رابضـة على الصخور . فاذا هي امرأة جميلة ذات رأس بشري وذنب حرشفي كذنب السمكة . وانها كثيراً ماترى وهي تمشط شعرها الذهبي أو اللؤلؤي المسترسل الجميل . بينما تمسك بيدها مرآة لتعكس بها صورتها الجميلة على الأمواج . ومما قالوه أيضاً « إن عرائس البحر يفتن عشاقهن فيستدرجنهم الى جوف البحر حيث يلاقون الموت الزؤام . وانهن يغادرن مأواهن في المحيطات ليتزوجن بالبشر

ثم تنتهي آجال بعولهن بفواجع. وقد رويت كذلك بعض الروايات على ذكور بقر البحر. ولكن ليس لهؤلاء شأن عظيم في الأساطير، مثل أناثهن أي بقرات البحر. »

وعروس البحر ذات وجه يشبهه في عجل البحر. ويكاد يضارع وجه البشر في هيئته. ومتى أرادت أناثها إرضاع صغارها، أبرزت عضوها الأمامي من الماء وحملت عليه رضيعها وأرضعته مثل الأم الآدمية. وروى كولمبس أنه رأى ثلاثاً من عرائس البحر. وذلك في سياحته الأولى الى جزائر الهند الغربية، قصد اكتشافه لأمريكا. غير أنها لم تكن بارعة الجمال كما كان يعتقد من قبل. وروت جريدة المقطم في ١٠ يناير سنة ١٩٢٨ خبراً فحواه أن رجلاً يونانياً وصل الى بورسعيد ومعه سمكة غريبة جزؤها الأسفل على هيئة سمكة طولها ثلاثة أمتار ووزنها ٢٥٠ أوقة. اصطادها من خليج دلجوى بجنوب أفريقية وقال إنه سيعرضها في بور سعيد والاسماعيلية والقاهرة والاسكندرية ثم يعرضها في أوربا.

والقصص التي ألفها المكتشفون الأوائل الذين اكتشفوا جزائر الهند الغربية وشبه جزيرة فلوريدا، وذلك في موضوع عرائس البحر وذكورها، تدور جميعها على الأوصاف الأولى الخاطئة الخاصة بها. وفحواها أنها مخلوقات نصفها بشري ونصفها الآخر سمكي».

ويذكر جيداً كاتب هذه السطور أنه في طفولته منذ ستين سنة، شاهد عروساً بحرية جلبها أحد الصيادين الأجانب الى القاهرة وعرضها في معرض صغير بشارع السبتية بالقاهرة وكان ذلك في حانوت قديم مواجه للمبنى الجديد القائمة فيه الآن مطابع السكة الحديد. وكان عماله يعلنون عنها صائحين قائلين « تفرج وشوف عجائب البحر، حيوان نصفه سمكة ونصفه بني آدم » فكانت المارة تقبل على مشاهدتها أفواجاً من كل حدب وصوب. وكنا نرى في رأسها خصلات من الشعر.

ولا تستطع عروس البحر مغادرة المياه التي تعيش فيها لأن تركيب جسمها التشريحي لا يتيح لها ذلك. وهذا فضلا عن كونها ليست لها أداة تدافع بها عن نفسها، حيال بطش الوحوش البحرية والبرية. التي تصادفها فتراها تلجأ الى المياه الضحلة خشية اغتيالها.

وقال العلامة الدكتور الكسندر بل « لقد كانت هذه المخلوقات البدينة، غير المؤذية تحتشد في مياه أنهار شبه جزيرة فلوريدا وخلجانها ومستنقعاتها، حيث نزل البيض في أمريكا أول مرة. ولا شك أنها تكاد تنقرض كما انقرضت من قبلها الجواميس. إذ لم يبقَ منها الا قطيع واحد يأوي الى مياه نهر ميامي، حيث حجز وقاية له من الفناء. ولذلك اتخذ ولاة الأمور هناك، الوسائل الفعالة لحراستها وزيادة عددها. فأصبحت مصدراً

عظيماً من مصادر الغذاء لسكان فلوريدا . وسوف يحل زمن ينتفع فيه العالم بهذا الحيوان العجيب ، النفع المنشود» .

وبناء على ذلك اشترعت حكومة فلوريدا ، شرعة تقضي بفرض غرامة قدرها مائة جنيه انكليزي على كل شخص يتعمد قتل عروس بحر . ولا غرو فلحمها يشبه لحم أضلاع العجل « الـكستليتـة » أو لحم الخنزير أو لحم البقر الغض . وقد أجمع الخبراء على الاطناب في بياضه ولذته وجودة نكهته . وإذا ملّح صار كلحم الخنزير الفاخر ، وظل صالحاً للأكل زمناً غير قصير . وكثيراً ما يملح الذنب ، ويؤكل بارداً . وهو يعد من ألذ المأكولات . وطبقة شحمها الصفيقة تعادل زيت كبد الحوت ، بل تفوقه في خلوها من كراهة الطعم ، ورداءة الرائحة . وهذا فضلاً عن خلوها من عنصر اليود . أما عظامها فمتينة جداً وكثيفة وخالية من التجاويف . فتحل محل العاج في الصناعة .

قلت : ليت أولي الأمر في حكومتنا المصرية يعنون بالحصول من حكومة فلوريدا الأمريكية على ذكر وأنثى من عرائس البحر قصد تربيتهما في معهدنا الخاص بالأحياء المائية فنجني منهما خيرات جزيلة .

ويصيد أهالي الشواطىء الشمالية في أستراليا عرائس البحر للانتفاع بلحمها ، إذ هو كما سلف القول ، من ألذ الأطعمة وأدسمها وأنفسها . ومتى ملّح لحمها ، غدا كلحم أو شحم الخنزير المملح . فيلذ أكله للجنس الأبيض من بني البشر . ومنه يستخرج زيت يستعمل مقوياً للجسم ، يفضل زيت كبد الحوت وكانت عرائس البحر في غابر الزمن ، تصاد بالحراب . فكان يقتل منها كل سنة ، طائفة كبيرة . أما الآن فقد أصبحت تجفل منها . فيصيدها الصيادون بشباك طويلة متينة . ومع كون عروس البحر تعيش في الماء ، فهي ليست سمكة ، بل حيوان لبون كالعنبر وعجل البحر .

ويتوقع الباحثون أنه لا ينقضي زمن طويل على العناية بها ووقايتها من الانقراض ، حتى تعمَّ منافعها ، وتقدم لحومها في كثير من الأقطار ، على الموائد ، بدلاً من لحوم البقر البري وغيره .

ولعروس البحر يدان كأنهما زعنفتان . وموطنها البحار الاستوائيـة ، بين البحر الأحمر واستراليا . والعرب تصيد عرائس البحر من البحر الأحمر . وتتخذ من جلدها نعالاً للجمّالين .

وجاء في كتاب عجائب المخلوقات ، في وصفها : — أنها ذات وجه كوجه الانسان وبدنها

كبدن السمك . وعلى وجهها نقط . وتظهر على وجه الماء . ويقال لها الأطم . وعليها شعر غزير وليس لها حراشف . وتوجد في بحر الصين . ولها فرج كالمرأة . ووجهها كوجه الخنزير .

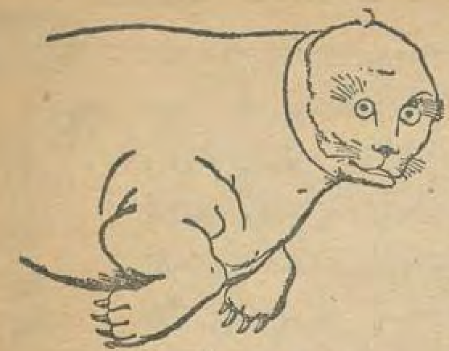

عروس البحر

وذكرت جريدة « أخبار اليوم » في نسختها بتاريخ ١٠/٧/١٩٤٨ الخبر الآتي —

ظهرت حديثاً حوريتان من حوريات البحر على شاطىء أفريقية الجنوبي . بمدينة الكاب فاصطاد أولاهما صياد بشبكته . وكانت تنظر للصياد بوجهها الذي يكاد يشبه وجه الانسان ، بينما كان باقي جسمها يتلوى يميناً ويساراً . ثم أرسلت الى نيروبي حيث تحنط ويحتفظ بها في متحف الأحياء المائية . أما الثانية فان صياداً زنجياً كان يجوس خلال الساحل حين رأى وجهاً كوجه الانسان يتطلع إليه من فوق سطح الماء . ثم لم تلبث الحورية أن رفعت رأسها وقفزت من الماء ، فظهر صدرها الأبيض الجميل الذي يكاد يشبه صدر الفتاة العذراء . فهمّ الصيادُ يريد اقتناصها . ولكنها لم تلبث أن ولت هاربة واختفت وسط الأمواج . وقد أبصر كاتب هذه السطور ، حورية بحر محنطة وذلك في القسم الشرقي للمعرض الزراعي الصناعي السادس عشر الذي كان يطلق عليه اسم « جناح وادي النيل » وروت جريدة الأساس بتاريخ ٣١/١/٤٩ أن رجال محطة البحوث المائية في الغردقة عثروا في شهر ديسمبر ١٩٤٨ على جثة إحدى عرائس البحر . وكانت طافية فوق سطح الماء . وبعد جذبها بالشباك الى المحطة حنطها المتخصصون ووضعوها في مكان خاص بالمتحف الملحق بالمحطة . قلت وأظنها هي العروس البحرية نفسها التي كانت معروضة سنة ١٩٤٩؛ في المعرض الزراعي الصناعي ، بين معروضات البحر الأحمر .

الربيع

للأستاذ حسن جاد حسن

ملأ الأفق بهجةً وبهاء   وكسا الأرض زينةً ورواء
ضاحك مشرق المباسم طلقٌ   يتهادى من حسنه خيلاء
طاب إصباحه فراق صباحاً   وصفا ليله فطابَ مساء
باكرت راحَه الطيور فراحت   تفعم الدوح فرحةً وغناء
وتناجت به الخمائل سكرى   شربتْ من رحيقه الأنداء
وكأن الربى عرائس هبّت   من كِراها تطارد الاغفاء
فتنة تُجتلى وظل ظليل   وعبير يعطّر الأرجاء
يا حبيبي هذا الربيع فهيّا   نغتنم صفوه وننسى الشتاء

⁂

موعدٌ للمنى يفيض رغاباً   وشبابٌ يجدد الأحقابا
كلما روّع الزمانَ مشيبٌ   عاد في ظله الزمانُ شبابا
هو روح تنساب في كل شيء   نفساً عاطراً ولحناً مذابا
وحياة تدب في الأرض حتى   كاد أن يفصح الجماد الخطابا
وهو للروض زينة من حلاها   يرتدي بعد عريه جلبابا
روضة للأرواح تُستاف ريّا   ها وساقٍ يشعشع الأكوابا
يا حبيبي وافى الربيع نداما   هُ ظمأً وباكَر الأحباء
وأنا ظامىء الأماني فهيّا   نبتدر ماءه وننسى السرابا

⁂

أين أيامنا البواسم أينا   والربيع الضحوك يحنو علينا

نتناجى والنرجس الغض غيرا   نُ يسجّي عيناً ويفتح عينا
والورود الحسان تسمع نجوا   نا وهمس النسيم في أذنينا
رقّ من شجوه لرقة شكوا   نا اعتلالاً فراح يسري الهوينى
والغصون الملدانراحت تحاكيـ   ـنا فتذكي الغرام في مهجتينا
ربّ غصن أسر نجوى لغصن   فاستحى الوردمنهما واستحينا
وانسياب الرقراق في الروض يشجينا فنصغي له ويصغي إلينا
وكأن الطيور تبتدع الشد   وَ جديداً ككل شيء لدينا

* * *

عاد آذارُ كالضحى إشراقاً   يترع الكأس للندامى دهاقا
عبقرُ الفن يلهم الشعر عُلويـ   ـاً فيطوي خياله الآفاقا
ولقد أيقظ القلوب الغوافي   عن هواها وجدّد الأشواقا
يسكر الروحَ والنواظرَ مرآ   ه كما يسكر الندى الأوراقا
هام قلبي في أفقه الطلق نشوا   نَ يباري طير الروابي انطلاقا
يا حبيبي هذا الربيع بساطٌ   للتلاقي يجمّع العشاقا
تتفانى القلوب فيه سلاماً   وتذوب الأرواح فيه عناقا
سامرٌ مؤنس الرؤى غير أني   يا حبيبي أفنيته إطراقا

* * *

لا أحس الربيع إلا بنفسي   مجتلي بهجةٍ وجلوةَ عرس
وبروحي أراه لا بعيوني   مطلعاً للمنى ومشرق شمس
ما الربيع الضحوك إلا أماني   مشرقات تجلو غياهب يأسي
وعبير تهفو به نسمات   إن سرت فتّحت مغالق نفسي
يا حبيبي كل الربيع ندامى   تتساقى الهوى وقد جف كأسي
كل الف بالفه في صباح   وأنا موحش الخواطر ممسي
الصبابات لافحات بشوقي   والأماني معطرات بهمسي
فأعد لي الربيع أنساً وألحا   ناً فما أنت غير لحني وأنسي

نحن واللغة العربية

— ٤ —

اللغة العربية في العصر الحاضر : ب . [في العراق]

للأمير مصطفى الشهابي

لم يكن حظ العربية في العراق أيام الدولة العثمانية بأجود من حظها في الشام . فقد كان العراق يومئذ ولايات عثمانية، لغة الحكومة ، ومدارس الحكومة فيها هي التركية . ولم يكن في ذلك القطر العربي مدارس للارساليات الدينية ولا مدارس أهلية كافية ، ولهذا كان دون مصر والشام من حيث انتشار العلوم العصرية والأخذ بوسائل المدنية الحديثة . وكان معظم المتعلمين من أبنائه يدرسون في مدارس الدولة العسكرية فيصبحون ضباطاً في الجيش العثماني . وقليل منهم درسوا الحقوق أو الادارة في مدرسة اسطنبول الملكية . أما الأطباء والصيادلة والأساتذة في مختلف العلوم ورجال العلم من صحفيين وكتّاب وأدباء وشعراء فقد كان عددهم قليلاً .

ولكن الله لم يرد للغة القرآن شرّاً في العراق فقيض لها معقلاً في النجف هو عند الشيعة كالأزهر عند السنة . وهو مركز مهم لمدارسة اللغة العربية وتدريسها عدا العلوم الدينية . وعلى الرغم من الانحطاط العام الذي شمل البلاد العثمانية في ذلك العهد فقد نبغ في العراق أفراد في الشعر والأدب كالكاظمي أعظم من ارتجل الشعر البليغ ارتجالاً في هذا العصر . وقد كنا نكذب الكتب القديمة القائلة بأن بعض الشعراء الأقدمين كانوا يرتجلون القصيدة الطويلة حتى سمعنا الكاظمي يرتجل في مناسبات مفاجئة شتى فاذا بموهبة الارتجال حقيقة لا شك فيها .

ومن الشعراء المشهورين الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي ، ومنهم معروف الرصافي بذّ الجميع في أوائل هذا العصر وسكت في أواخر أيامه . ومنهم الشبيبي رئيس نادي العَلم له شعر متين الحوك في ديوان طبع حديثاً . ولعل أشهر الشعراء العراقيين عند الشاميين هو أحمد الصافي النجفي نزيل دمشق فان في شعره حيوية وشاعرية ورقة ودعابة .

واشتهرت الأسرة الآلوسية في العراق بعلوم الدين واللغة والأدب . ومن أشهر

علمائها في القرن الماضي محمود بن عبد الله الآلوسي له مصنفات كثيرة وابداع في الانشاء ، ومنهم في القرن الحاضر محمود شكري بن عبد الله الآلوسي ومن أشهر مصنفاته المطبوعة « بلوغ الأرب في احوال العرب » حقق في تأليفه رغبة لجنة اللغات الشرقية في استكهولم وفاز بجائزتها . وله مصنفات أخرى كثيرة .

ومهما يكن من أمر هذه الجهود الفردية ، فان ظهور عدد كبير أو قليل من الأدباء والعلماء واللغويين لا يدل على انه كان يوجد نهضة ثقافية في العراق ، في القرن الماضي وفي أوائل القرن الحاضر . والحقيقة أن النهضة الحديثة في هذا القطر الشقيق لم تبدأ إلا بعد خروج الأتراك العثمانيين منه عقب الحرب الكبرى الماضية . وأبو هذه النهضة المباركة وباعثها ومزجيها فيصل بن الحسين طيّب الله ثراه .

فقد كان في بغداد أيام الدولة العثمانية مدرسة حقوق فتحت في أواخر أيام تلك الدولة ، ومدرسة إعدادية ومدرسة عسكرية متوسطة وبضع مدارس ابتدائية . وكان في كل من ولايتي البصرة والموصل مدرسة اعدادية وعدد صغير من المدارس الابتدائية . وجميع هذه المدارس الحكومية كانت تدرس بالتركية . وكان التعليم فيها موجهاً الى اعداد ناشئة تتقن التركية ، وتدين بالجامعة العثمانية ، وتخدم إما في الجيش العثماني وإما في وظائف الحكومة الثانوية . وكانت اللغة العربية لغة ثانوية تدرس بالتركية ، كما كانت القومية العربية تحارب من قبل المعلمين الأتراك والمتتركين .

ويتضح من ذلك ان العراق عندما انفصل عن الدولة العثمانية بعد الحرب الكبرى الماضية وبدأ يمارس استقلاله ، وجد نفسه في حاجة قصوى الى نشر التعليم على أنواعه ، وإلى توجيه وجهة القومية العربية الصحيحة ، والى إعزاز اللسان العربي لسان الشعب والدين والدولة . ولم يقصر القائمون على شؤون العراق في هذه النواحي الثلاث . ففتحوا حتى سنة ١٩٣٥ من المدارس الابتدائية ٧٤٧ مدرسة كان مجموع تلامذتها ٨٦٠٠٠ . وكانوا ٩٠٠٠٠ في سنة ١٩٣٧ أما في سنة ١٩٤١ فقد اربوا على مائة ألف تلميذ وتلميذة . وفتحوا ٤٧ مدرسة متوسطة تحتوي على الصفوف الأولى من الدراسة الثانوية ، و١٤ مدرسة ثانوية تشتمل على الصفوف العليا من الدراسة الثانوية . وبلغ مجموع التلامذة في هذين الفرعين من مدارس التجهيز عشرة آلاف تلميذ . ووجهوا عنايتهم الى إعداد معلمين ومعلمات للمدارس الابتدائية ففتحوا لهذا الغرض أربع دور معلمين منها اثنتان للذكور واثنتان للاناث ، وكان فيها سنة ١٩٣٥ ألف تلميذ وتلميذة . أما في سنة ١٩٤١ فدار المعلمين في الرستمية وحدها كان فيها نحو ألف تلميذ .

وأسسوا للتعليم العالي دار معلمين عليا تخرج أساتذة للمدارس المتوسطة ، وكلية

الطب والصيدلة وكلية للحقوق . أما المدارس الفنية فقد أسسوا منها بضع مدارس للفنون الحربية على مختلف أنواعها ، ومدرسة للهندسة ومدرسة زراعية ومدرسة صناعية في بغداد وأخرى في الموصل الخ ... ولم يأنف العراق من استدعاء أساتذة مصريين وشاميين وبريطانيين للتدريس في مدارسه ، وهذا ما يفعله كل شعب ناهض في بدء نهضته وسيستغني عنهم رويداً رويداً بازدياد المتخرجين من دور المعلمين العراقية ، وبازدياد العراقيين الذين يتخرجون في كل سنة من جامعات ديار الشام وديار الغرب

والعربية هي لغة التعليم في مدارس الحكومة العراقية عدا مدرستي الطب والهندسة، فان معظم الدروس فيها تلقى بالانكليزية . ولا أرى لذلك سبباً جوهريًّا .

ولا تزيد المدارس الأهلية في العراق على سبعين مدرسة فيها نحو عشرين ألف تلميذ . أما المدارس الأجنبية فهي اثنتا عشرة مدرسة تضم ألف تلميذ . ويدلُّ ذلك على ان الدولة في العراق هي التي تسيطر في مدارسها العديدة على تعليم الأحداث وعلى تربيتهم وعلى توجيههم وجهة واحدة . وهذه الوجهة تستهدف الاحتفاظ بتراث العرب الأدبي والروحي ، واقتباس المفيد من علوم الغربيين وأساليبهم العلمية ووسائلهم المادية . أما المبادىء القومية فهي تبث في جميع مدارس الدولة على شكل يدعو الى الارتياح .

ومع ان ميزانية وزارة المعارف في العراق تكاد تبلغ تسعمائة ألف دينار وهو مبلغ لا يستهان به في قطر لا يزيد سكانه على نيف وأربعة ملايين نسمة ، فما برح أمام الحكومة مجال واسع لنشر التعليم الابتدائي خاصة ، لأن تلامذة المدارس الابتدائية وتلميذاتها لا يبلغون جميعاً ربع الأولاد الذين هم في سن التحصيل الابتدائي . وثلاثة ارباع الأحداث أو أكثر يلبثون أميين . والحكومة جادة لتقليل عدد الأميين ، وهو عمل يحتاج الى كثير من المال والى مرور زمن كاف لتخريج عدد كبير من الشبان الذين ينهون دراستهم في دور المعلمين وينصرفون الى تعليم الأحداث .

ويلخص من هذه اللمحة عن التعليم في العراق أن لساننا الضادي في هذا القطر الشقيق أصبح له المقام الأول في مدارس الدولة ، وانه صار يدرس فيها تدريساً حسناً ، كما صارت تؤلف به كتب مدرسية كثيرة في العلوم المختلفة . وقد لاحظت أثناء رحلتي الى العراق في أواخر سنة ١٩٤٠ ان لغة دواوين الحكومة لا بأس بها ، وأنها ليست بأسوأ من لغة دواوين مصر والشام إجمالا .

ومما يثلج الصدر أن اللجنة التي كانت ألفت في دمشق بعد الحرب الكبرى الماضية لوضع مصطلحات عربية في الفنون الحربية ، لم يذهب عملها هدراً ، بل داوم العراقيون على هذا العمل (وكان واسطة عقدهم فيه الأديب السيد عبد المسيح وزير حتى صار عندهم

معجم لتلك المصطلحات يشتمل على بضعة آلاف لفظة . وهكذا سهل تعليم الجيش العراقي بالعربية سواء في المدارس العسكرية المختلفة أم في الشكنات .

ولم يكن في العراق أيام الدولة العثمانية صحافة تذكر . أما اليوم ففي العراق جرائد ومجلات عديدة ، تقدمت كثيراً عن قبلُ بلغتها ، وبموضوعاتها الأدبية والعلمية . ومن المجلات الراقية التي اطلعنا عليها مجلة « المعلم الجديد » تصدرها وزارة المعارف ، ومجلة « العالَم الاسلامي » تصدرها جمعية الشبان المسلمين . أما الصحف اليومية في بغداد فليست دون صحف دمشق أو بيروت . ويلاحظ الانسان أن في العراق كما في الشام إقبالاً على اتخاذ الصحافة مهنة سهلة . ولهذا صار يصدر في بغداد وحدها عشر صحف يومية أو أكثر وهو عدد كبير إذا قيس بعدد القراء في العاصمة وفي الأطراف . وقد تأسس في بغداد ناد يسمونه نادي القلم أعضاؤه لفيف من الكتّاب والأدباء والأساتيذ واللغويين . وهم يجتمعون من حين إلى آخر ، ويتذاكرون في الأدب واللغة ، ويلقي أحدهم عليهم محاضرة بموضوع داخل في نطاق اختصاصه . وهذا النادي يمثل ناحية بارزة من نواحي الثقافة العامة في العراق .

أما المصطلحات العلمية ففي العراق أفراد قليلون يعنون بها . وأشهرهم الأب أنستاس ماري الكرملي ، كان يصدر في بغداد مجلة لغوية مفيدة اسمها « لغة العرب » ومما يدعو الى الأسف انه اضطر الى حجبها عن الناس لأسباب مالية . وكانت هذه المجلة تتضمن نقداً لاغلاط الكتّاب والمؤلفين ، وجملة صالحة من الألفاظ العربية في بعض العلوم والمخترعات الحديثة . ولبث الأب العلامة يكتب في مجلة مجمعنا العلمي العربي وفي بعض المجلات المصرية على ما نعلم . وله معجم كبير مخطوط سماه المساعد .

واشتهر في العراق الدكتور مصطفى جواد أحد أساتذة دار المعلمين العليا بنقد اغلاط الكتّاب ، كما اشتهر الدكتور داود الجلبي بألفاظ العلوم الطبية . ويعد الدكتور أمين باشا المعلوف اللبناني المنشأ والعراقي التابعية أفضل علماء العرب في مصطلحات الحيوان في أيام الناس هذه . وله معجمان مطبوعان وهما معجم الحيوان ومعجم اسماء النجوم .

والعراق أول من سن تشريعاً بأن تكتب لوحات المتاجر باللغة العربية فوق أي لغة أجنبية أخرى وهو أول من لبى دعوة حكومة مصر الى عقد مؤتمرات لتوحيد الثقافة في الأقطار العربية .

ويتضح من هذه الكلمة الموجزة أن نهضة العراق التي بدأت عقب الحرب الكبرى الماضية وتناولت جميع نواحي الحياة العامة من تعليم وعمران واقتصاد واسقاء ورياضة وغيرها ، قد شملت لغة الضاد أيضاً فأخذت تتقدم وتزدهر في دواوين الحكومة ومدارسها وفي النوادي الأدبية والصحافة الحرة ، وما برح أمام العراق مجال واسع لبث الثقافة العامة . ولكن هذا القطر العربي عرف الطريق الصالحة فسلكها وكل من سار على الدرب وصل .

ما يهمك أن تعرفه عن :-

العناصر المعدنية

ماهيتها وخواصها في جسم الانسان

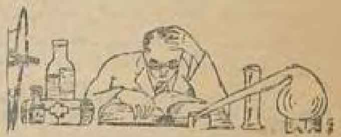

— ٢ —

للأستاذ انبيرو جيري

الاكسجين والايدروجين

« وجعلنا من الماء كل شيء حيّ »
« قرآن كريم »

﴿ الماء ﴾ يقول علماء الطبيعة إن الأكسجين والايدروجين هما العنصران المهمان للحياة وبدونهما لا يكون ماء في الأرض ، لأنه باتحادهما يتكوّن الماء ، وبدون الأول ينعدم الهواء ، ومتى فقد الماء والهواء فلا يحصل خصب ولا نار ، وكيف تحيا الأجسام بلا هواء تتنفسه ، وبلا ماء تشربه .

والماء عنصر أساسي في تكوين أجسام الكائنات الحية من حيوان ونبات ، لأن جميع الخلايا والأجهزة والعصارات والسوائل من دم وخلافه ، كل هذه دون استثناء يدخل الماء في تركيبها .

والنباتات التي نراها وسط الصحراء ويخيّل للانسان إستحالة وصول الماء اليها ، تحصل عليه مما تمتصه جذورها الغائرة في باطن الأرض ، من الماء الموجود في جوفها . وهناك بعض الحيوانات لا تشرب الماء ، ولكنها كثيراً ما تحصل عليه من عصارة الحشائش التي تأكلها .

وهذه الآلة البشرية العجيبة التي ندعوها الانسان، هي كناية عن اتون تتأجج فيه نار الحياة ولا يلطف من حرارتها أو يعدّلها إلا الماء الذي تشربه، ونحن لا نستخدمه لتعديل حرارة أجسامنا فحسب، بل لتحيل ما نتناوله من المواد الغذائية نسجاً بدنية ولتسهيل كل حركة نقوم بها، فلولا الماء لاصطدمت مفاصل الجسم وأعضاؤه بعضها ببعض كلما سرنا أو جلسنا أو تحركنا.

لقد وصف بعضهم الجسم البشري باسفنجة متشربة ماء وهو وصف حقيقي، لأن أكثر من ثلثي وزن الجسم يتركب من الماء. فالماء يدخل في تركيب الدم والخلايا وجميع النسج والسوائل التى بالجسم، وهو ضروري لحدوث الهضم والافراز، وكثير من العمليات البيولوجية والكيمياوية التى تجري على الدوام في جميع الأعضاء.

والحكمة من وجود الماء واضحة، فجسم الانسان يحتوي على أملاح كثيرة، فاذا لم يكن هناك ماء لتذوب فيه هذه الأملاح، فقدت النسج عنصراً مهمًّا من عناصرها الأساسية. وبما ان الماء سهل الانتشار فله القدرة على إذابة عدد كبير من المركبات. وهو كذلك وسط صالح لنقل الأملاح والمواد المذابة من بعض أجزاء الجسم الى الأجزاء الأخرى. كما أنه يساعد على نقل المواد المهضومة من القناة الهضمية الى الدورة الدموية، ومن ثمّ الى جميع نسج الجسم، كما أنه ينقل المواد التالفة من النسج الى الدم، ثم الى الأعضاء الخاصة بطردها خارج الجسم. وتقدّر كمية الماء التي تفرزها هذه الأعضاء بنحو ثلاثة لترات كل ٢٤ ساعة.

ويحتاج الانسان البالغ يومياً الى شرب لتر ونصف لتر الى لترين من الماء بما في ذلك ما يحويه الطعام منه، وإذا لم نتناول الماء بكمية وافية فالدم يخثر ويغلظ ويصعب سريانه في الجسم فينشأ الاختلال. ثم ان للماء مهمة عظيمة تتوقف عليها حياة الجسم ونموّه، اذ انه يوصل الغذاء الى كل خلية من خلايا الجسم في أية ناحية من نواحيه لتسقيفه وتأخذ منه ما تحتاج اليه وترد الفضلات فيحملها الى مخارجها ومواضع افرازها، كما إنه يكوّن جزءاً مهمًّا في تركيب العصارات الهضمية والمفرزات المختلفة.

وكذلك بوساطة الماء يتخلص جسم الانسان من نفايات الغذاء ومن المواد الضارة التي تتخلف عن عمليات الهضم، كما ان الادران والسموم تذوب فيه وتخرج من الجسم في البول والعرق، وان ٩٠ ٪ من دم الانسان ماء كما ان ٥٠ ٪ من العظام ماء كذلك

ويفرز الجسم بعض الماء بوساطة الجلد والرئتين والكليتين وغيرها ولكن عليه أن

يستعيض عن الماء الذي يفقده بغيره، أو بتناول الأغذية التي تحتوي على الماء . واذا نقص الماء الموجود في البنية بمقدار ١٠ ٪ من كميته فقد تتحمل البنية هذا النقص وتعوّضه بسهولة . واما اذا وصل ما يفقد منه الى ٢٠ ٪ فان هذا النقص يؤدي الى اعراض خطرة قد تعرضه لخطر الموت . ومن أسباب هذا النقص شدة الاسهال وغزارة العرق وكثرة التبول والقيء والنزيف .

واما اذا قلّ افراز الماء من الجسم فقد يؤدي ذلك الى « الارتشاحات » في أمراض القلب والكلى وغيرها .

واليك نسبة الماء الذي يفرزه الجسم .

٥٠ ٪ من الماء في الجسم تفرز بوساطة الكلى
٢٥ ٪ « « « « « « الجلد
١٧ ٪ « « « « « « الرئتين
٤ ٪ « « « « « « الأمعاء

﴿ الجلد البشري ﴾ في جلد الانسان مسامّ دقيقة لا تحصى يتنفس منها الجسم، فلو سدّت أو طلي الجلد بمادة تمنع الهواء عن الجسم لهزل وأدركه الموت .

وللجلد أربع وظائف حيوية : —

١ — إدخال الأكسجين الى الدم واخراج الحوامض الكربونية بوساطة الأوعية الشعرية.
٢ — اخراج المواد السامة التي يفرزها الجسم بالعرق. وهي تقدر يومياً بكيلوجرام.
٣ — حفظ التوازن بين الحرارة الداخلية والحرارة الخارجية .
٤ — الاحساس وبدونه لا نشعر بشيء لان الجلد يحس بأدق الأشياء متى لامسته .

﴿ العرق ﴾ أهم وظيفة للعرق تنظيم درجة حرارة الجسم الطبيعية في جميع الظروف والاحوال. فعندما يكون الجو بارداً يقلّ افراز العرق وبذلك يحتفظ الجسم بجزء كبير من الحرارة التي يولّدها .

أما في أشهر الصيف الحارة فان المرء يفرز كمية كبيرة من العرق الذي يمتص عند تبخره جزءاً كبيراً من حرارة الجسم. وبذلك لا ترتفع درجته عن المتوسط . وعندما يفرز العرق بكثرة يزيد ميل الانسان لشرب الماء لكي يعوض به ما فقده الجسم بسبب عمليات التبخر .

كما انه من المعتاد ان تنقص قابلية الانسان للأكل في أشهر الصيف .

أما كمية الماء التي يحتاج اليها الانسان فتوقفة على الجهود التي نقوم بها — فكلما زاد مجهودنا البدني زاد عطشنا — وحسب كثرة البول والعرق وقلتهما ووجود امساك أو اسهال . وكذلك حسب حرارة الجو الذي نعيش فيه ، ومقدار جفافه أو تشبعه بالرطوبة أو غير ذلك من الظروف الطبيعية والصحية والمرضية .

﴿ ماذا تشرب في الحر ﴾ اذا لذعك الحر الشديد فلا تطفيء حرارتك بالماء المثلج بل بالساخن .

هذا ما يقوله أحد أساتذة الطب ويعلل قوله للأسباب التالية : —

إن ١٢٥ جراماً من الماء الساخن تبرّد الجوف أكثر من ٢٥٠ جراماً من الماء المبرّد الى درجة عشرة فوق الصفر . ولهذا فالماء المثلج في الأيام الشديدة الحرارة فضلاً عن اضراره الجمّة وعواقبه الوخيمة لا ينقع الغلة بل تزداد بعد دقائق معدودة .

وإن ٥٠٠ جرام من ماء درجة حرارته ٣٨ أو ٤٠ لا تبقى في المعدة أكثر من سبع أو ثماني دقائق ثم تجري في الجسم بعد ١٤ دقيقة . وهذه الكمية نفسها من الماء البارد لا تخرج من المعدة قبل ١٥ دقيقة ولا تجري في الجسم في أقل من ٣٠ دقيقة .

﴿ المشروبات المثلجة ﴾ أما ضحايا المشروبات المثلجة فعديدة لا سيما في فصل الحر ، فننصح كل من يتناول المبرّدات ويشعر بضررها ان يبادر حالاً الى شرب شيء من المشروبات الساخنة . وإذا كان الشخص ضعيف الارادة ولا يمكنه الامتناع عن شرب المشروبات الباردة في الحر ، فعليه أن يتناولها على جرعات متعددة لا جرعة واحدة ، وان يحفظ كل جرعة في فمه قليلاً فتصل الى القناة الهضمية أقل برودة . وبذلك يتقي الضرر ، لأنها تسبب رطوبة النسج وتزيد العرق وترخي العضلات ، كما تزيد عدم القدرة على المقاومة الحيوية . والمشروبات المثلجة خطرها شديد جداً وخاصة على الأطفال فانها تسبب لهم الاسهال والحميات .

وشرب الماء الكثير أو العطش الزائد ينجم عن تناول كميات كبيرة من اللحوم والمملحات . كما أن الغذاء الذي يحتوي على كميات كبيرة من المواد الزلالية يقتضي شرب الماء الكثير لتحليله في الجسم وافرازه ، أكثر مما يحتاج الغذاء المكوّن من المواد الدهنية والنشوية

ويعتقد بعض الناس أن شرب الماء بكثرة يفيد الجسم لأنه ينظف النسج ويطهر الخلايا

ولكن هذا الاعتقاد خاطىء ، إذ أن عملية التنظيف والتطهير في الجسم هي عملية كيماوية تقوم بها الخلايا الحية . والطريقة الوحيدة لتنظيف النسج وتطهير الخلايا هي الصوم والامتناع عن الأكل فترة من الزمن ، لأنه في تلك الفترة تندثر الأغشية والخلايا المريضة والملتهبة ، وذلك يعمل على حفظ النسج في حالة صحية جيدة .

وأحسن طريقة لتنظيم عملية شرب الماء هو أن يقلل الانسان من أكل الأطعمة النشوية المركزة ، والامتناع أو الاقتصاد في تناول ملح الطعام والتوابل ، والاكثار من تناول الفاكهة والخضر ، لأنها تحتوي على كمية كبيرة من الماء في حالة صالحة للجسم .

متى نشرب وقد اختلف الناس في تعيين الأوقات الصحية الصالحة لشرب الماء . والخلاصة ان أحسن الأوقات هي قبل الافطار صباحاً وعند النوم مباشرة ، لأنه يساعد على تخليص الجسم من النفايات . ولا ريب في ان الذين هضمهم ضعيف وعصاراتهم المعدية قليلة لا يحسن بهم ان يكثروا من شرب الماء مع الطعام ، لأن الماء يخفف العصير المعدي . وعلى ذلك يجب ان نشرب قبل الأكل بنصف ساعة أو بعده بساعتين أو أكثر ، أي بعد تمام الهضم تقريباً ، لأن شرب الماء في أثناء الأكل أو بعده مباشرة يؤثر تأثيراً سيئاً في عصارة المعدة فيضعف الهضم .

غير أن الدكتور النابه محمد علي بدر الدين بك له رأي آخر نشره في مجلة الدكتور الغراء لشهر مارس سنة ١٩٥٠ إذ يقول: «من الاخطاء الشائعة عدم شرب المياه أثناء الأكل بدعوى أنها تسبب تمددا في المعدة وأنها تخفف من قوة الحامض المعدي ، فينشأ عن ذلك عسر في الهضم ، وقد فات القائلون بهذا الرأي أن المعدة لها من القدرة على استبقاء الغذاء دون المياه ، التي ينساب معظمها الى الأمعاء وتبقى المعدة على القليل منها لضرورته في الهضم . والدارس لعملية الهضم في المعدة يجد أنه من العسير أن تؤدي وظيفتها كاملة اذا لم يكن فيها مقدار مناسب من السوائل .

فاشربوا المياه أثناء الأكل ، دون اسراف طبعاً ، ففي ذلك فائدة محققة» .

*

وأما الكلام عن فوائد المياه وضرورتها لنظافة الجسم من الخارج ثم أنواع المياه والعلاج بها فهذه ليست موضوع بحثنا اليوم ، ولكننا سوف نفرد لها مقالاً خاصاً موضوعه « الحمامات منافعها وأضرارها » . ان شاء الله .

للبحث تتمة

الزراعة

في أندونيسيا

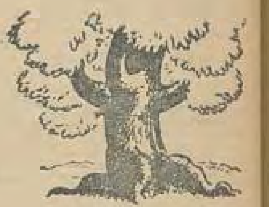

للأستاذ أحمد طه السنوسي

اندونيسيا قطر زراعي أخضر ؛ فالانتاج الزراعي فيها يزيد على أي إنتاج اقتصادي أو حيوي آخر ، كما أن ظروف الزراعة في أراضيها ظروف طيبة ؛ فمن وفرة في الأيدي العاملة، إلى خصب واتساع وجودة في الأرض، الى غير ذلك من المزايا الهامة .

ونحن لو نظرنا إلى اندونيسيا والى أقطار الجهات الجنوبية والشرقية من قارة آسيا ، رأينا أن الأرز هو الغذاء الرئيسي هناك ، فلا غرو إذن أن يوجّه الاندونيسيون عناية خاصة الى زراعة الأرز لتنتج أرضهم منه ما يسد عوزهم الغذائي ، فهم يوفرون له الأيدي العاملة ويبذلون الجهد في زراعته الشاقة ، بيد أن الأمر يختلف في مصر كثيراً ، فنجد فيها أن الأرز لا يزرع الا ليصلح الأراضي الملحة الرطبة حسب لا ليكون بمثابة الغذاء الرئيسي .

والأرز من الناحية النباتية من فصيلة النجيل ، ويطلق عليه النباتيون اسم (أوريزا ساتيفا) وطبيعته نصف مائية وصارت زراعته تصلح في متباين الأحوال ، فبينما تزرع أنواع منه على سفوح التلال الجافة في الهند حيث ترويه الأمطار، نراه عكس ذلك في الصين حيث يبقى في المياه على الدوام .

ونحن ننتظر لزراعة الأرز في اندونيسيا نجاحاً باهراً ، نظراً للروح التعاونية في زراعته ثم لأهميته الغذائية ولما يستخرج منه من دقيق ونشا وغيره مما يشتغل في الحياة العملية ، كما ننتظر أن يخطو إلى عالم التجارة الدولية فضلاً عن استهلاكه في الحيز الأندونيسي ، ومما لا ريب فيه أن العناية الخاصة بزراعته وبذر بذور الديمقراطية الزراعية في نفوس الفلاحين واستخدام الآلات الزراعية الحديثة خير ما يؤدي إلى نجاحه في الاقتصاديات الخارجية

والاستهلاكات المحلية.

وأحدث طريقة لتبييض الأرز هي (الطريقة المالكية) نسبة إلى مبتكرها (يوناف مالك) وهو أمريكي من أصل فارسي. وميزة هذه الطريقة أنها تزيد من محصول الأرز الناتج وتحدّ من ضياع الكمية الكبيرة التي تذهب هباءً في حالات التقشير والتنظيف والتلميع العادية، ثم إنها تحتفظ للأرز بنسبته الكبيرة من حامض البانتوثنيك والثيامين والنياسين ... ويا حبذا لو أخذت اندونيسيا بهذه الطريقة التي أفادت أمريكا كثيراً من الناحية الزراعية.

ويلي الأرز في الأهمية الحبوبية حبوب الذرة، بل إن هنالك منافسة كبيرة بين الأرز والذرة، فالذرة محصولها وفير، كما يتخذ من أعوادها وأوراقها الخضر غذاء للماشية، هذا علاوة على أن تكاليف تخزينها تكاليف زهيدة. وأنواع الذرة جميعها تدخل في نطاق الفصيلة النجيلية. ويدلي لنا العلماء الزراعيون بأنه من المحتمل أن الذرة تستغل كغذاء للبشرية أكثر من أي انتاج غذائي آخر، وكما نتوقع للأرز نجاحاً في التجارة الدولية، كذلك نتبع ذلك التوقع بشبيه له للذرة، وستتخذ مكاناً سامياً من الناحية الاستغلالية الصناعية، فمنها يستخرج مطاطها المسمى باسمها، كما يستخرج منها النشاء والورق ونوع من الحرير والكحول أيضاً.

وقصب السكر من أهم نتاج اندونيسيا، وهو نبات من فصيلة النجيل يدعى في عالم النبات (سكاروم أوفيسينياروم) وأصله من مزروعات القارة الآسيوية حتى أنه ما برح ينبت في بعض جهات من أرضها بريًّا، وقبل القرن السادس عشر لم يكن لمادة السكر في أوربا أهمية كبيرة، بيد أنه بعد ذلك صارت له أهميته الكبرى رويداً رويداً، ويرجع ذلك إلى الجنس اللطيف في الطبقات الراقية الحاكمة في أوربا، فقد استعمله هذا الجنس في تطعيم حلواه وفي أكواب شايه وأعمار قهوته. وأكثر بقاع الأرض انتاجاً للسكر جزيرة كوبا التي توجد في أمريكا، ويليها في ذلك الانتاج جزيرة جاوه، وكانت أنواعه فيها جيدة جداً، على أن التحسينات الانتاجية لقصب السكر أدت وتؤدي إلى زيادة المحصول السكري في اندونيسيا كما أن استعمال العلم الحديث واجراء التجربات النباتية للأنواع الحديثة من قصب السكر مما يرقى بمحصوله ومما يجعله يزيد في انتاجه على انتاج البنجر. ولعلي أستند في الدعوة الى زيادة الانتاج من قصب السكر الى ما يترتب على ذلك من رواج لثروة اندونيسيا الزراعية الأخرى أمثال البن والشاي والكاكاو والقرفة وغيرها،

لأن استعمال هذه المنبهات العقلية مقرون باستعمال المادة السكرية .

... ولقد قامت زراعة التبغ في اندونيسيا منذ عهد البرتغاليين الذين أدخلوا زراعته في قارة آسيا في أواخر القرن السادس عشر ، ثم وصلت زراعته من آسيا الى الجزائر الأندونيسية ، ولعله قد انتشر نظراً لانتشار التدخين في أنحاء العالم ، وتنتج جزيرتا جاوه وسومطرا الأوراق الشفافة الخاصة بتغليف اللفائف ، كما أن المناطق الأندونيسية تنتج صنفاً جيداً من التبغ .

وأهم فاكهة تزرع في اندونيسيا هي الموز ، وهو ثمر يطلق عليه النباتيون أسماء (موزا سابنيتم وموزا كافنديش وموزا براد سياكا) وقد قيل إن الموطن الأصلي للموز في جنوب القارة الأسيوية بيد أنه اليوم يزرع في جميع المناطق الحارة تقريباً ؛ إذ أن زراعته سهلة واضحة وفوائده جمة، وإذا لم تحصّ أشجاره من تأثير الريح وبالأخص إذا كانت قائمة في مكان دان من شاطىء البحر فان الريح الشمالية الشديدة ربما تذرو نتاج عام في يوم واحد

وللموز أهمية كبيرة في قارتي آسيا وأمريكا تفوق أهميته في افريقيا ، وتتكاثر زراعة الموز الوطني في جزائر كناريا وجزائر مادورا ومدغشقر وغينيا وغيرها . والأندونيسيون يستخدمون الموز بطرق شتى ، فاذا لم يرقهم أكله على طبيعته حين جنيه أخذوا في طهيه بالقلي أو بالشي ، واذا لم يعجبهم ذلك جففوه وسحقوه ، واذا أرادوا أن يتشبثوا بالدورة الصناعية يقطرونه ليستخرجوا منه كحولاً ، ثم هم يستخدمونه في تغذية مواشيهم ، وهنالك نوع من الموز يتخذون من أوراقه غلافاً للفائف التبغ الوطنية .

وتاريخ الموز في العالم قديم ، فقد ذكره اليونانيون والرومانيون ، وفي اللغة الهندية القديمة وجدت فواكه أطلق عليها العرب اسم الموز ، وعرفته تبعاً لذلك التاريخ شعوب العالم ، ولم يسلك سبيل التجارة الدولية إلا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، وأخذت أوربا وأمريكا تستهلكه نتيجة للمجهودات والمشروعات الجبارة التي بذلت في سبيل رقيه .

وفاكهة المانجو تلي الموز في الانتاج والأهمية والتجارة الدولية ، وأصلها من شبه جزيرة الهند ، بل ان المانجو قد عرف في الهند منذ سالف العصور .

للبحث تتمة

التقويم الزراعي

لشهر ابريل ١٩٥١

---

(١) — ﴿ الحاصلات الزراعية ﴾

البرسيم — يستمر الحش وعمل الدريس. ويبدأ في حجز الربابة

الفول — دراس وتذرية

الكتان — يبدأ القلع والتربيط

القمح — يروى المتأخر

الشعير — يؤخذ في الضم والدراس والتخزين

القطن — ترقيع وري وخربشة وخف وأول عزيق

القصب — يتم كسر المحصول القديم وحرق السفير، ويؤخذ في التسميد الأول للزراعات المبكرة. وفج خطوط الخلفة والمسح.

(٢) — ﴿ البساتين ﴾

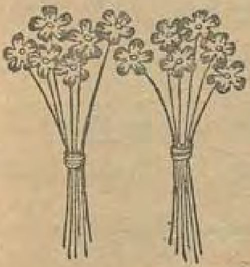

(١) — الفاكهة: تزرع في أوائل الشهر بزور النارنج والليمون والقشطة والجوافة والكمثرى البرية إذا تأخر زرعها مع ملاحظة تظليلها اتقاء لحرارة الشمس.

يمكن الاستمرار في نقل فسايل النخيل من المشتل

يستمر في تطعيم أصول الموالح، ويعاد تطعيم ما لم ينجح تطعيمه في الشهر الماضي وموالاة الأصول بالري لنجاح التطعيم.

يمكن فصل سرطان الزيتون عن أمهاتها وزراعتها في خطوط المشتل. يبدأ في (تزرير) الزيتون الشملالي المفرد بالقصاري من العام الماضي بأصناف الزيتون المختلفة.

ري أشجار الفاكهة ريًّا خفيفاً منظماً حتى لا تتساقط الأزهار من العطش.

تسميد الأشجار التي تأخر تسميدها. خف ثمار التفاح البلدي والمشمش حتى يزداد نمو الثمار الباقية على أشجارها ويتحسن لونها.

(ب) – الخضر زراعة اللوبيا والبطاطا والبامية والقرع العسلي والكوسة وسائر أصناف المقات (البطيخ والشمام والخيار والقاوون والعجور) والقلقاس والملوخية والرجلة والفجل والكرات في عرمات جديدة.

شتل الباذنجان والفلفل والطماطم والكرفس والكرات بشوشة.

تزرع بالمشتل عدمات مبكرة من بزور الكرنب والقنبيط الكرات بشوشة.

(ح) – الأزهار تجمع بزور الحوليات الشتوية. يستمر في زراعة بزور الحوليات الصيفية ودرنات الداليا وعقل الليبيا والنخيل. يستمر في زراعة بزور الأشجار والشجيرات والمتسلقات.

تجهز عقل أنواع الفيكس المختلفة.

يكون الورد والبلارجونيوم في أتم أدوار إزهاره.

✡✡

اخبار زراعية

﴿فول الصويا﴾ اتخذ الأمريكيون من فول الصويا نباتاً رئيسيًّا للبلاد صنعوا منه مواد غذائية وكيمائية تفيد الانسان والحيوان ولا تتوافر في محصول غيره.

ويحتوي الحبوب على نسبة عالية من الزيت يصنع منها الكسب الذي تقبل عليه الماشية ولا يؤثر في صفات اللبن أو منتجاته.

ومن الحبوب يصنع خبز وفطائر يقال إنها تفيد مرضى السكر.

ويستعمل الزيت المستخرج منها في بعض أنواع الحلوى والشيكولاته. والنفاية تدخل في تزييت الآلات وصناعة الصابون والشمع والجلسرين والكاوتشوك الصناعي وبطائن المنسوجات.

﴿موطن نبات الخيار﴾ يقول دي كاندول إن موطن الخيار جبال هيمالايا وانه كان يزرع بالهند لأكثر من ثلاثة آلاف سنة ومنها انتشر في العالم وكلمة خيار مأخوذة من لغة التتار وهو ما يسمى في العربية «القثد»

﴿موطن الفاصوليا﴾ موطن الفاصوليا أمريكا الجنوبية، وقد وجدت حبوبها في مقابر قدماء بيرو، ولها ١٢٣ صنفاً نباتيًّا مقسمة الى سبع مجاميع.

✡✡

باب المراسلة والمناظرة

المخطوط النفيس

طبقات الحنابلة لابن ابي يعلي الفراء

للاستاذ طاهر النعساني

بينا أنا أقلب النظر في مخطوطات المكتبة الظاهرية في دمشق منقباً عن آثار أسلافنا، اذا بي أعثر فيما اعثر عليه على كتاب الطبقات لابن أبي يعلي المعروف بأبي الحسن محمد الفراء، فطفقت أقلب صفحاته حتى أتيت على آخره وأنا أقول : أليس من المؤسف المحزن ان يظل هذا الأثر النفيس في زوايا الاهمال لم يطبع حتى الآن ؟ ولعل المجمع العلمي يعمل في الآني إن شاء الله على طبعه وطبع أمثاله من النوادر الموجودة لديه والتي احتوتها خزانة الظاهرية المليئة بالكنوز الثمينة .

وإن آسف لشيء فانما آسف لاقدام المجمع مؤخراً على الرسالة الجامعة للمجريطي تلك الرسالة المشبعة بروح الالحاد ومما لا يسوغ نشره البتة ونحن اذ نكتب كلمتنا هذه نشكر للأستاذ الكبير السيد عارف النكدي عضو المجمع العلمي لموقفه المشرف.

الكتاب في حجم النصف شذرات ٤ — ٧٩ فيه حروف غير معجمة خطه جيد بالقلم النسخي عدد أوراقه ١٥٨ — أسطر الصحيفة ٣١ أوراق الأصل مع الذيل ٣٥٨ المكتوب طولاً ٢٢ سم ونصف سم المكتوب عرضاً ١٣ - سم ونصف سم عرض الحاشية العليا ٢ سم عرض الحاشية السفلى ٣ سم عرض الحاشية اليمنى ٤ سم عرض الحاشية اليسرى من ٢ سم الى ١ سم ونصف سم - طول الورقة ٢٨ سم عرضها مع الحواشي ١٨ سم .

الكتاب مجلد يشتمل على طبقات الحنابلة لابن ابي يعلي وعلى الذيل لابن أبي رجب الحنبلي البغدادي المتوفي سنة ٧٩٥ وأوله : بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله .

حدثنا الشيخ الامام الحافظ أبو العز عبد المغيث بن حرب بن زهير الحربي قال : حدثنا القاضي الامام الأوحد السعيد الشهيد أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن خلف ابن الفراء الحنبلي رضي الله عنه من لفظه وكتابه وذلك سنة أربع وعشرين وخمسمائة قال : الحمد لله العلي العظيم السميع البصير ذي الفضل الواسع والمنّ التوابع والنعم السوابغ والحجج البوالغ علا فكان فوق سبع سمواته ثم على عرشه استوى يعلم السر وأخفى ويسمع الكلام والنجوى أنزل القرآن بعلمه وأنشأ خلق الانسان من تراب بيده ثم كوّنه بكلمه واصطفى رسوله ابراهيم بخلته ونادى كليمه موسى بلغته — ثم قال : هذا كتاب استخرنا الله تعالى في تأليفه وسألناه المعونة على تصنيفه وسطرنا فيه ما انتهى اليه من أخبار شيوخنا أصحاب امامنا الامام الأفضل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن ادريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل الخ . . .

وآخر التراجم : ترجمة أبي البركات طلحة بن أحمد بن طلحة وجاء في آخره ما يلي :

وافق الفراغ منه يوم الخميس ثالث عشر من ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثمانمائة وكتبه الياس بن خضر بن محمد بن جبرائيل التركماني نشأه الله نشوءاً صالحاً ووفقه لحفظ كتابه والعمل به والانتفاع بالعلم الموروث عن أهله وفقهه في الدين وجعل أمورنا وعواقبها رشداً وخيراً .

وفي المكتبة الظاهرية نسخة أخرى اشتملت على الطبقات والذيل أيضاً ٣٢١ ورقة ٢٧×١٨ سم ٢٣ سطراً ؛ مع حاشية عليها تعليق حرفه الى الكبر أقرب بأقلام مختلفة استعملت الحمرة في آخر النسخة لبعض الأسماء علق سنة ٨٣٠ جلد مستور بالورق وقف عيسى بن طريف على الحنابلة بمدرسة أبي عمر . أما أول الذيل فهو بسم الله الرحمن الرحيم — الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى أزواجه الطيبات الطاهرات امهات المؤمنين. قال الشيخ الامام العالم المغربي العامل الزاهد الحافظ المحدث زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الزاهد الامام العالم المقرىء شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسن بن رجب رحمهم الله تعالى برحمته .

هذا كتاب جمعته وجعلته ذيلاً على طبقات فقهاء أصحاب الامام أحمد للقاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى رحمهم الله تعالى وابتدأت فيه بأصحاب القاضي أبي يعلى وجعلت ترتيبه على الوفيات والله تعالى المسؤول أن ينفع به في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه.

وقد ابتدأ في التراجم من سنة ٤٦٠ الى سنة ٧٥١ على السنين وآخر التراجم ترجمة محمد ابن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزيه المتوفي في رجب لسنة ٧٥ ﻫ وجاء في آخر الكتاب ما نصه : —

وكان الفراغ من تعليقه بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يوم الأحد سابع عشر من شهر شعبان سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، وكتبه الياس بن خضر بن محمد بن جبرائيل التركماني وفي الآخر ست ورقات في معنى العلم وانقسامه الى علم نافع وغير نافع لم يذكر مؤلفها ولا كاتبها وقد وجدت على ظهر الذيل ما نصه—

هذا ما وقفه الوزير المعظم والمشير المفخم صاحب الخيرات والمبرات جناب الحاج أسعد باشا والي الشام وامير الحاج على مدرسة والده المرحوم الحاج اسماعيل باشا طاب ثراه، واشترط الواقف الموما اليه ان لا يخرج من مكانه.

وقد وجدت مكتوباً على ظهر الطبقات ما نصه : —

وقفه وسائر كتبه شيخنا العلامه أبو الحسن علي بن عروة على طلبة العلم الحنابلة انتهى. اختصر الطبقات العلامه شمس الدين بن أبي عبد الله محمد بن عبد القادر بن عثمان النابلسي المتوفي سنة ٧٩٧ وقد قام بطبع هذا المختصر الأديب الفاضل السيد أحمد عبيد صاحب المكتبة المشهورة في دمشق بعد ان راجع الأصل وقد أفاد بطبعه ايما أفادة

وقد ذكر الطبقات صاحب كشف الظنون فقال : وقد جعل المؤلف هذه الطبقات على سيرة طبقات الأولى والثانية على حروف المعجم وما بعدها على تقديم العمر والوفاه، وانتهى فيه الى سنة ٥١٢ ... أما النسخ الموجودة منه في المكتبات فهي :

١ — نسخة في خزانة بانكي فور مكتوبة في سنة ٦٣٧ تحت الرقم ٢٤٦٥ وهي في مجلدين

٢ — نسخة أخرى في المكتبة العلوية وهي في ثلاث مجلدات

٣ — نسخة أخرى في الخزانة الآصفية مكتوبة بخط جديد وهي من رواية الشيخ الامام عبد المغيث بن زهير الحربي أوراقها ١٧٥

٤ — نسخة منه في مكتبة عاشر أفندي تحت الرقم ٦٧٠

وقد ذكر صاحب كشف الظنون الذيل لابن رجب فقال وصل فيه الى سنة ٧٥٠ وقد أخذ الحافظ بن حجر في الدرر الكامنة أكثر تراجم العلماء الحنابلة من هذا الكتاب .

أما النسخ الموجودة منه في المكتاب فهي فيما نعلم :

١ – نسخة في مجلدين بقلم نسخي بخط محمود صدقي نقلها عن نسخة فوتغرافية مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٢٥٢٣ وهي مأخوذة عن نسخة مكتوبة بخط المقرىء شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الساوي المكي الحنبلي سنة ٨٧٦ هـ وفرغ من كتابتها سنة ١٣٥١ هـ الموافقة سنة ١٩٣٢ م في ٧٥ و ٣٠٠ ورقة سطورها ٢١ سطراً في حجم الربع ٤٤١١ .

٢ – نسخة منه في خزانة يانكي فور تحت الرقم ٢٤٦٦

٣ – نسخة أخرى في مكتبة عاشر أفندي تحت الرقم ٦٦٩

٤ – الجزء الثاني منه في خزانة المكتب بندوة العلماء

٥ – الجزء الثالث في المكتبة السندية ٢٠١ بخط قديم

٦ – نسخة أخرى في خزانة ليبسك

٧ – نسخة أخرى منه في ثلاثة مجلدات مخطوطة في الخزانة المصرية وهي مأخوذة بالتصوير الشمسي عن النسخة الخطية التي كتبها شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف المكي الحنبلي وفرغ منها سنة ٨٣٦ ومحفوظة بمكتبة كوبرلي بالاستانة وبأولها فهرس الأسماء ...

ومؤلف الطبقات هو القاضي أبو الحسين محمد بن الشيخ المذهب القاضي الكبير أبي يعلي محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء الحنبلي ولد ليلة النصف من شعبان سنة احدى وخمسين وأربعمائة وتوفي والده وهو صغير وقد كان والده من شيوخ العلم في عصره حتى انه لقب بالامام شيخ الاسلام. وقد كان ألف كتاب الصفات فأحدث ضجة كبيرة في بغداد وقامت من أجل كتابه هذا فتن عظيمة بين الحنابلة وبعض أهل السنة الذين هم اشعريو المذهب ورموه بالتجسيم. استفاق صاحب الطبقات على هذه الضجة حول كتاب أبيه والصحب المستمر وتنكر العلماء لابيه وهاتيك الفتن القائمة بين المذاهب الاسلامية.

ففي سنة ٤٧٥ هبط بغداد الشريف أبو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان اشعري المذهب وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومال اليه وسيره الى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويشنع عليهم ويعيبهم ويشدد النكير عليهم بصورة بشعة ثم انه قصد يوماً دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني بنهر القلائين فجرى بين أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء وجلهم ما بين أديب وفقيه ولغوي ومحدث وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات

لأبي يعلي والد المترجم فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ فيشنع به عليهم ويرميهم بالتجسيم ويكفرهم ويقول ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، وجرى له معهم خصومات وقامت من أجل ذلك فتن لا محل لسردها أساءت الى الاسلام والمسلمين في الأقطار النائية فما هي حال المترجم بعد هذه الفتنة العمياء المضلة التي آثارها أبو القاسم المغربي وبعد غشيان بيته وبيت أبيه وأخذ كتبه ؟ وفيما اعتقد أنه انما عمد الى تأليف كتاب الطبقات وسرد تراجم العلماء الأعلام فيه الذين يدينون بمذهب الامام أحمد رضى الله عنه ممن تقدموه على أثر هذه الضجة التي أثيرت حول كتاب أبيه والمقدمة التي ذكرنا طرفاً منها وصدر بها كتابه هذا وفيها من ذكر الصفات ما يدل على عقيدته وتأثره من أولئك المعارضين الذين ما فتئوا يثيرون العامة ويستفزون العلماء ضد آل الفراء ويرمونهم بالتجسيم، وقد كانوا في القدح المعلى من العلم والفضل على عقيدة السلف .

وبينما كان صاحب الطبقات في داره بباب المراتب في بغداد منفرداً في بيت من بيوتها ينام فيه وحده والى جانبه كتبه وتآليفه وبحوثه الثمينة الشيقة اذ نزل عليه جماعة ممن كانوا يخدمونه ويترددون عليه من أصحابه ليلاً فأخذوا ماله وقتلوه ليلة الجمعة سنة ست وعشرين وخمسمائة وهي ليلة عاشوراء ولاذوا بالفرار وصلي عليه يوم السبت حادي عشر المحرم ودفن عند أبيه في مقبرة باب حرب وكان يوماً مشهوداً ويشاء الله ان يعرف بعد ذلك قاتلوه الاثام فيؤتى بهم ويقتلون جميعهم ولم ينج منهم أحد فرحمك الله يا بن أبي يعلي وأغدق عليك شآبيب رضوانه وأسكنك فراديس جناته .

وله تصانيف كثيرة في الأصول والفروع وغير ذلك منها : ايضاح الأدلة في الرد على الفرق الضالة المضلة — التمام لكتاب الروايتين والوجهين الذي ألفه أبوه ، تنزيه معاوية بن أبي سفيان — رؤوس المسائل — الرد على زائغي الاعتقادات في منعهم من سماع الآيات — شرف الاتباع وشر الابتداع طبقات الأصحاب (وهو أصل هذا الكتاب) المجرد في مناقب الامام أحمد ـ المجموع في الفروع ـ المفتاح في الفقه ـ المفردات في الفقه ـ المقنع في النبات.

هذا ولعل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل السعود أدام الله عزه وأبقاه للعرب والاسلام عماداً يصدر أمره العالي بطبع هذ الكتاب مع الذيل لما فيهما من الفائدة والنفع العام للأمة وبذلك يكون — أمدّ الله في عمره — قد أحيا أثراً نفيساً من آثار السلف الصالح له مكانته المرموقة بين الآثار وانه لفاعل إن شاء الله .

(حلب)

مكتبة المقتطف

تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين

تأليف الدكتور فيليب حتي — صفحاته ٧٤٩ صفحة — الناشر دار مكملان وشركاه بلندن

History of Syria, including Lebanon & Palestine
By Philip K. Hitti — Pub. Macmillan & Co. Ltd. London.

تلخيص : للأستاذ أسبيرو جبري

وضع المؤرخ الكبير الدكتور الأستاذ فيليب حتي رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأميركا سفراً ضخماً باللغة الانكليزية عن تاريخ سوريا بما فيها لبنان وفلسطين في مختلف العصور التي مرّت بها من العهد اليوناني فالروماني الى أيام النهضة الاسلامية ووقائع الحروب الصليبية والحكم العثماني فالعصر الحديث .

وكتب المستشرقون وكتب العرب أنفسهم المؤلفات الكثيرة عن تاريخ سوريا ولبنان ، وتضاربت الآراء في قيمة هذه المؤلفات ، ولكن كتاب الدكتور حتي الذي بين أيدينا يختلف عن كل ما كتب في هذا الموضوع ، ويمتاز في المادة والاسلوب وطريقة البحث ، فقد تضمن هذا السفر النفيس جميع مناحي الحياة فيها من فكرية ودينية واجتماعية وتجارية وصناعية ، كما تناول في الفصول الاولى الوضع الجغرافي والجيولوجي والأثري لهذه البلاد ، وأفاض في الكلام عن العصور السامية والفينيقية والعبرية وعلاقاتها بمصر وبابل وأشور . وفي الفصل الثالث أفاض في الحديث عن العصر اليوناني الروماني من عهد الاسكندر الأكبر والعصر البيزنطي وتاريخ انتشار الديانة

المسيحية في تلك البلاد ، واسترسل في الحديث عن الدولة الأموية في الشام وما قامت به من أعمال وعن الدولتين العباسية والفاطمية ، ثم تناول الدولة الأيوبية والمماليك كما أفاض في شرح الحروب الصليبية إفاضة وافية، وأفرد باباً للعصر العثماني وباباً آخر لأمراء لبنان الشهابيين . ثم اختتم هذا السفر الضخم بدراسة طيبة للعصر الحديث من الناحيتين السياسية والثقافية .

وقد وفق الدكتور الاستاذ حتي الى أبعد حدود التوفيق في سرد تاريخ شعب سوريا في العصور القديمة الى العصر الحاضر في نيف وسبعمائة صفحة بطريقة طريفة مع الدقة، علمية مع السهولة ، لأن مادته مأخوذة من أصدق المصادر العلمية وقائمة على دراسة نتائج البحوث الأثرية والبحوث الجامعية النقدية الحديثة مما يجعل لهذا الكتاب قيمته العلمية والتاريخية. ولا نبالغ اذا قلنا إنه ألزم عدة لكل من يريد أن يدرس تاريخ هذه البلاد بدون ارهاق لأنه يفي بحاجة الطالب ، وبحاجة القارىء المثقف، كما انه رفيق طيب لأساتذة التاريخ حيث يجدون فيه ضالتهم المنشودة لأنه موضوع على نحو علمي صحيح ولا غرو فقد قام الدكتور حتي بالتدريس في الجامعة الأميركية ببيروت وفي جامعات أمريكا، وأعد اعداداً طيباً لاخراج هذا المؤلف ، وأتيحت له فرص للدرس والتحصيل لم ينعم بها غيره ممن كتبوا في تاريخ سوريا ولبنان ، وحسبه فخراً — وهو ابن سوريا البار — ان ينسب اليه هذا السفر النفيس الذي يدل على علمه الغزير وفضله الواسع .

وقد أهدى المؤلف العالم كتابه الى السيدة الفاضلة زوجه المصون تقديراً لتشجيعها المستمر وعونها له في هذا السبيل.

وليس في اللغة العربية كتاب واحد يضم بين دفتيه تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين على نحو علمي صحيح، ولذا فاننا نهيب بالجامعة العربية أن تتولى — بالاتفاق مع المؤلف العالم الجليل — ترجمة هذا السفر النفيس الى اللغة العربية حتى يمكن ان يستفيد من بحوثه رجال العلم والتاريخ .

والكتاب مطبوع طبعاً أنيقاً ومزين بكثير من الصور والرسوم الملونة وفيه خرائط جغرافية قديمة وحديثة تسهل الدراسة للباحثين وتشهد للمؤلف بطول الباع في الدقة والتحقيق، وقد قامت دار مكملان للنشر بلندن بطبعه.

فنهنىء الدكتور فيليب حتي بمؤلفه النفيس شاكرين له الجهود الموفقة التي بذلها في سبيل هذا العمل التاريخي المشرف وراجين لحضرته اطراد التوفيق في خدمة بلاده .

اسبيرو جسري

الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث

لمصطفى عبد اللطيف السحرتي

وسط التيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يزخر بها العالم العربي وما يصحبها من حملات نقدية منوعة، هي أقرب الى الجموح منها الى الاتزان، يشق علينا أن نجد نقاداً للأدب العربي المعاصر — وعلى الأخص في مجال الشعر — يمكن أن ينعتوا بالمقدرة اذا وصفوا بالاطلاع الشامل.

إن المقدرة على نقد الشعر تتطلب ثقافة واسعة جامعة بين الأدب والعلم، وتتطلب ذمةً دقيقة في الموازين وضبطاً للنفس، وتجرداً عن الأهواء الخاصة، وقدرة على التجاوب مع الشاعر المنقود، وتذوّق فنون الجمال الشعري جميعها حتى ولو كان الناقد بينه وبين نفسه يتعصب لطراز معّين منها.

وفي السنين الثلاثين الأخيرة نزغ بين نقاد الأدب العربي في أقطاره قليلون لا يتجاوز عدهم أصابع اليد الواحدة جمعوا بين هذه الصفات التي لا غنى عنها جميعاً لتكوين النقاد الممتازين، فأفادوا الأدب العربي بحسن توجيههم وبأعمالهم المثالية. وكان ولا يزال بين هؤلاء بل في طليعتهم الشاعر الناقد الجهير مُصطفى عبد اللطيف السحرتي الذي أتحف الأدب العربي بتآليف شتى في الشعر والنقد والتراجم والتأملات الفكرية والتصوفية، الى جانب تحريره مجلة (الامام — The Leader) الأدبية وقتاً ما. ويحرص خاصة الأدباء على ديوانه الجميل الانساني النزعة الموسوم (أزهار الذكرى) وقد صدر منذ ثمانية أعوام، وسرعان ما نفدت نسخه وأعقبت تساؤلاً متواصلاً عنها امتد الى دوائر الاستشراق في أوربا وأمريكا، فان روحه التقدمية وعواطفه الانسانية وأسلوبه المتحرر وموضوعاته الطريفة خلقت له جاذبية خاصة وجعلت له طابعاً فريداً من الايديالية الرومانسية المستوعبة للتصوف في الطبيعة حتى في قصائده الوصفية.

وقد تولت (المقتطف) — شيخة المجلات العربية — إخراج أثر جليل له هو الأول من طرازه الكامل في اللغة العربية، لا لأنه ثمرة ألمعية نقادة ناضجة فحسب، بل لأنه أيضاً ميزان منصف للشعراء المعاصرين على ضوء النقد العلمي الحديث الذي تبلورت مذاهبه وتجلت ولم تعد ملكاً للغة خاصة ولا لآداب معينة دون غيرها. وقد أدخل في روع بعض الأدباء أن مقاييس النقد الأدبي التي وضعها أعلامه ثم تكيفت بصورتها المهذبة الحاضرة لا شأن للعربية بها ولا تنطبق عليها، وأنه يكفي مجرّد الاطلاع عليها

لتغذية القرائح وتنبيهها تاركين النقاد ليتعرفوا بعد ذلك كما يهوون ولا تعرف قضاة الأحكام المرفية ! وليس هـذا من الصواب في شيء كما أثبت السحرتي بكتابه الرائد الذي أصبحت له في غضون ثلاث سنوات منزلة كلاسيكية فريدة .

والسحرتي بثقافته الأدبية والعلمية ، والقانونية ، الدقيقة والانسانية المنوّعة ، أهل لهذه المنزلة التي أنزلته بها آثاره الممتازة ، ولكن الأهم — من وجهة النظر التقدمية — أنه وهو الأديب المنشىء والشاعر المبدع لا تتغلب عليه الأنانية ولا التحزب الشخصي فينسى واجبه كقاض منصف ومعلم مرشد . وهـذا شيء جديد بيننا ، وبشير باستمرار نهضتنا دون عوج .

وكما كان على رأس من عنوا بالأنثروبولوجيا ودقائق الدراسات النفسية وبتطبيقها في مجال النقد الأدبي ، تطبيقاً منظماً بديعاً ، نراه منذ ربع قرن بل أكثر على رأس الراسمين لأصول النقد الأدبي في لغتنا ولأوضاعه السليمة ، وأبواب كتابه الممتع دليل على ذلك فقد حفلت بالشواهد العديدة لشعراء ممتازين من أقطار العربية جميعها ، وقد تناولت فيما تناولته الانفعالات الشعرية والموسيقى الشعرية والشعر الرمزي والسريالية الشعرية والمذاهب الأدبية والنقدية المختلفة ، مشفوعة بالنموذج والأمثلة المتعددة ، وقد أبدع في عرضها وتحليلها واظهار نواحي الكمال والنقص فيها بروح فنية صرفة لا تنزع الى غير عرفان الحق وتقدير الجمال .

ولولا السحرتي في كتابه هـذا لبقي كثيرون من شعراء الشباب الموهوبين محصوراً العلم بهم في مواطنهم فحسب ، وربما جهلهم حتى مواطنوهم ، وحسبنا أن نشير الى الشاعر السوري نذير الحسامي الذي يقول : —

أنا للكوخ والسرداب ، لا للقصر فني
ولخفق الريح في الأسمال ترجيعي ولحني
لاحتضار النور في ليل المساكين أغني
ولخلف القوت في بطن الفقير المتمني
ولأنات الحزانى أهدم الدنيا وأبني !

والى الشاعر المصري كمال عبد الحليم الذي يقول : —

كل يوم يمر ليس من العمر اذا لم تعشه يوم كفاح
وحرامٌ عليك أن تبصر الشعب دماء تجمدت في جراح

وحرام عليك أن تبصر القوم عرايا في عاصفات الرياح
يتشاكون بالدموع فتبكي لبكاهم وتكتفي بالنواح !

وبعد — فهذا الكتاب ذخيرة أدبية من الطراز الأول ، ودائرة معارف في موضوعه الجليل ، ودليل ماهد للدارسين ، وقدوة بديعة للناقدين. وقد بلغ حجمه نيفاً وستين ومائتين من الصفحات ختمت بفهرسين مسهبين للموضوعات والاعلام . أما أسلوب المؤلف فمن الجزل البليغ المحكم المجانب الثرثرة والاقتضاب المخلّ .

وأخيراً لا ينبغي أن يفوتنا التنبيه إلى أن السحرتي وان حرص على تمجيد الفن للفن ، لا تفوته بدافع وطنيته وانسانيته الاشادة بالعناصر الروحية التي تبدع من الشعر الوطني ومن الشعر الانساني جمالاً خاصًّا يزدهي به أي فن . وقد رأينا أدباء ونقاداً عجزوا عن الاستيعاب والاطلاع الواسع الذي ظفر به السحرتي من أمهات الكتب الأدبية في ثلاث لغات — العربية — والانجليزية — والفرنسية — وفي عصور مختلفة ، كما عجزوا عن تطويع أقلامهم للأصول النقدية المعترف بها عالميًّا ، فراحوا ينادون بالاحتكام الى الذوق الشخصي ، كما ينادون باختلاف الشعر العربي في روحه الفنية اختلافاً كليًّا عن سواه ، وكل هذا ينافي الحق كما ينافي التقدم . ومن ثمة جاء هذا السفر الجليل واضعاً للأمور في نصابها ، معطياً النقد الأدبي في لغتنا حقه من القواعد والأصول ، كما هو حاله في كل لغة حية راقية . وان هذا لجهد خالد عظيم؟

دكتور أحمد زكي أبو شادي

(١) فتاوي شرعية وبحوث إسلامية

٢١٢ صفحة من القطع المتوسط — تأليف حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء — نشر دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥١

هذا كتاب جديد حقًّا ، نفيس غاية النفاسة ، ممتع كل الامتاع ، بالغ حدود الروعة والخصب والعمق والوضوح .. لا يستغنى عنه المسلمون في شئون دينهم ودنياهم .

وهو جهد كبير ، وثمرة اطلاع واسع ، وفهم دقيق لروح الاسلام ، ومسايرة لأهدافه وغاياته ، وادراك لحاجات المجتمع وضرورات العصر وأصول الدين الاسلامي السمح

وحسبك أنه يحتوي على الكثير من عشرات الفتاوي الشرعية التي أصدرها حضرة صاحب الفضيلة — أستاذنا الكبير في مناسبات متعددة ، في شئون الطهارة والصلاة والصوم والحج والبيوع والمعاملات والأيمان والزواج والطلاق والميراث واللباس والأطعمة

والأشربة والمرأة وفي البدع والخرافات ، وفي مسائل اجتماعية وشئون عامة كحكم صناعة التماثيل والصور واتخاذها والصور الشمسية ، وحكم نقل الدم من انسان الى آخر ، والاشتراك في حمل بساط الرحمة ، وبدعة المحمل وتقبيل مقود الجمل ، وفيما سوى ذلك

وقد صدره الأستاذ الكبير بمقدمة جليلة وبحث طريف عن الافتاء في صدر الاسلام ، وعن أمانة فقهاء الاسلام.. وروح اليسر ، وعمق الأحكام الدينية ، ونفاذها إلى صميم مرامي الاسلام وأهدافه هو السمة الواضحة في الكتاب من أوله إلى آخره .

وأسلوبه سهل واضح لا تعقيد فيه ولا التواء . . . وبعد فالكتاب درة نفيسة ، وهو بحق ترفع صاحبه إلى رتبة المجتهد والمفتي الأعظم

وهو صورة واضحة لشخصية الاستاذ الكبير وعمق دراسته للشريعة وفهمه لامور الدين .

(٢) العلماء ثائرون

تأليف الاستاذ جمال الدين موسى — ١٤٤ صفحة من قطع المقتطف — طبع بمطبعة المقتطف بالقاهرة

كتاب قيم نال جائزة الموضوعات المبسطة من العلوم في المسابقة الثقافية التي نظمتها وزارة المعارف المصرية عام ١٩٤٨ .

ومؤلفه الأستاذ جمال الدين محمد موسى ، يحمل بكالوريوس كلية العلوم مع مرتبة الشرف ودبلوم معهد التحرير والترجمة والصحافة من جامعة فؤاد.

وقد نشرت هذا المؤلف الممتع دار المقتطف بمصر ، فخرج في طباعة أنيقة وتنسيق جميل وصورة جذابة .

والكتاب يتحدث عن جهاد العلماء في بناء الحضارة ، وخدمة الانسانية من قديم .

وهو بحوث طريفة عن : أرشميدس اليوناني شيخ علم الطبيعة الأول ، وكوبرنيكس الذي قرر أن الأرض ليست سجينة لا تتحرك بل هي عربة دائبة على الدوران تحملنا معها في مغامرتها الأبدية خلال الفضاء ، وجاليليو الايطالي أرشميدس عصره ، وبحوث الاستاذ الدكتور دويسي العلمية في معمل سانت لويس ؛ وحديث علمي عن اللدائن ، والبروتين الصناعي ، والكيمياء والطب ، والكيمياء والطعام ، وقصة الالمنيوم ، والفلزات ، وقصة السائل الأسود ، والزجاج الذي لا يتأثر بالأحماض ولا يدخل الرمل في تركيبه ، وقصة البكتيريا ، وطرائف شتى من آثار العلماء في خدمة الانسانية ، وفتوحات العلم المستمرة التي تطالعنا كل يوم بجديد .

دراسات خصبة للغاية ، لذيذة جداً ، عميقة ممتعـة مع السهولة والوضوح واللذة ؛ تدل بحق على ثورة العلماء في سبيل المعرفة .

(٣) حلية الفرسان وشعار الشجعان

لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الاندلسي — تحقيق وتعليق الاستاذ محمد عبد الغنى حسن —
صفحاته ٣٣٦ صفحة من حجم المقتطف — نشر دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥١

هذا الكتاب هو المجموعة السادسة من سلسلة « ذخائر العرب » التي تصدرها دار المعارف بالقاهرة بتحقيق أشهر الأدباء في مصر وباشراف رجال الفكر والثقافة والأدب .

وهذه هي الطبعة الأولى من الكتاب الذي لم يرَ نور المطبعة العربية من قبل ، وكان المسيو لويس مرسيه قنصل فرنسا في المغرب قد نشر هذا الكتاب بطريقة « الفوتوتيب » عام ١٩٢٢ . فكان نشره على هذه الصورة في فرنسا عديم الجدوى رغم كثرة ما وقع فيه من تحريفات وأخطاء وأغلاط ، إلى أن قيض الله له الأستاذ محمد عبد الغني حسن فأخرجه على هذه الصورة الجميلة الدقيقة .

ومؤلف الكتاب كما يقول الأستاذ من علماء الأندلس في القرن الثامن وتلميذ القاضي أبي القاسم الحسني شيخ لسان الدين بن الخطيب .

وقد ألفه ورفعه الى أمير المسلمين المستعين بالله أبي عبد الله محمد الذي تولى ملك دولة بني الأحمر في غرناطة عام ٧٩٧ هـ .

والكتاب في الخيل وأسماء أعضائها وألوانها وعيوبها واختيارها وتعلم ركوبها والمسابقة بها وأسماء خيل الرسول وخيل العرب المشهورة ، وما أثر من الشعر العربي في ايثار العرب الخيل وافتخارهم بها . وفي ذكر السيوف والرماح وأجزائها وصفاتها وما قيل فيها من الشعر ، وفي القسيّ والنبال والدروع والترسة ؛ وعلى العموم فهو في الحديث عن آلات الحرب وأدواتها من خيل وسيوف ورماح .

وقد جمع الكثير من الفوائد الأدبية واللغوية ، والتاريخية ، والشواهد الشعرية لشعراء المشرق والأندلس ؛ وهو بحق دائرة معارف عامة في موضوعه ، واقتباس من كتب كثيرة ضاعت أصولها ؛ مما يجعل له قيمة كبيرة ، ويجعل المكتبة العربية في مسيس

لذلك كان توفيق الأستاذ ، الشاعر ، والباحث المحقق ، محمد عبد الغني حسن ، في تحقيق الكتاب والتعليق عليه ، وإخراجه إخراجاً علمياً صحيحاً ، وتوفيق دار المعارف في نشره

على هذه الصورة الجميلة الحسنة ؛ توفيقاً مزدوجاً ، يعود على العربية وثقافتها وتراثها ومتأدبيها بأجل الآثار .

والكتاب مقسم إلى أبواب كثيرة ، فالأبواب من ١ـ١٤ في الحديث عن الخيل ، والباب الخامس عشر في الحديث عن السيوف ، والباب السادس عشر في الحديث عن الرماح ، والباب السابع عشر في الحديث عن القسي والنبل ، والباب الثامن عشر في الحديث عن الدروع ، والباب التاسع عشر في الترسة ، والباب العشرون في السلاح والعدة على الاطلاق .

ويلي ذلك تعليقات للاستاذ محمد عبد الغني حسن على مصطلحات اندلسية وردت في الكتاب ، وكشف بمراجعه في تحقيق الكتاب ، وآخر بأسماء مؤلفيها ، وفهارس عامة لمحتويات الكتاب ، وللأعلام الواردة فيه ، ولأسماء القبائل والطوائف والأمم ، ولأسماء البلدان والأمصار والأماكن ، وللأشعار الواردة فيه ، وفهرس بأسماء أعضاء الفرس ، وآخر بألوانها ، وفهرس لشيات الخيل ، وآخر لغرر الخيل ، وآخر للتحجيل في الخيل ، وفهرس لأسماء وضعتها العرب لعتاق الخيل وفهرس لعيوب الخيل خلقة ، وعادة ، ولخيل الحلبة ، ولخيل الرسول ، وفهرس لأسماء خيل العرب المشهورة ، وفهرس لأسماء السيوف وصفاتها وبذلك ينتهي الكتاب .

وبعد فللأستاذ محمد عبد الغني حسن الشكر من أبناء العربية على هذا الجهد الذي بذله في إخراج الكتاب والعناية به ، واحياء أثر نفيس من كنوز العربية وتراثها الثمين ؟

محمد عبد المنعم خفاجي

شباب وغانيات

تأليف الاستاذ محمود تيمور بك — عيسى البابي الحلبي وشركاه — الطبعة الاولى ١٩٥١

مجموعة قصصية جديدة للقاص الكبير محمود بك تيمور تضم قصة طويلة تبلغ حجم الرواية ، وست قصص قصار . وتدور أغلبها حول الشباب ، والغانيات ، وتروي بعض مشاهد من مشاهد الحياة المألوفة ، وأحداث قنصها من ذكرياته القديمة وأضفى عليها ظلالاً من خياله الخصيب .

فالقصتان «شباب وغانيات» ، و«جنازة حارة» شملت بعض وقائع من تجاريبه الأولى ، وجسدها خياله العجيب ، فالاولى تروي حياة أسرة سرية ، تجمع بين أخوين . الكبير

متعال متعجرف ، والصغير مضطهد مجروح النفس ، محروم من غطرسة أخيه ، وتزخر بالشخوص الكثيرة ، المتباينة في خلقها ومزاجها .

أما القصة الثانية ، وهي من ذكرياته ، فتروي حكاية خادم مريض ، في أسرة عريقة ، وهو يحتضر ، وقد تجمع حوله خدم الأسرة ، وأخذوا يتحدثون في اقتسام تركته .

أما القصص الباقية ، فهي من مشاهداته العابرة ، وخيرها قصة « شيخ الزاوية » — (ص ١٤٧) وهو يروي فيها حكاية الشيخ «نعيم» هذا التقي الورع الذي اتخذه الناس إماماً. وارتضى بعض من طلقوا زوجاتهم ثلاثاً ، أن يزوجوه مطلقاتهم ، لتحل لهم من بعده ، وأنه كان يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله — وتيسيراً على عباده ، ثم طابت له إحداهن ، فأبى أن يردها لزوجها ، وزعم أن الله هداه إلى إنقاذها من شر زوجها ، وقد عارضه الزوج ، ولكنه وجد من الناس من يؤيده في فعلته . وهذه القصة تمتاز عن باقي القصص في صناعتها الفنية ، وفي سرعة حركتها ، وفي أنها تعبّر عن ناحية حقيقية من نواحي الحياة .

ونحن ، وإن كنا نعجب بغزارة إنتاج المؤلف ، فإنا لنتمنى عليه أن يوجه جهوده الى ما يعج في الحياة من أحداث جديدة ، وأن يهجر أحداث الماضي ، وذكرياته ، وإنا لنتطلع في شوق ، إلى قصص جديد ملون بدنيانا ، ولعله يحقق رغبة الأدباء الصاعدين .

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

أعلام النهضة في القرن العشرين

تأليف نجيب مسعد — صفحاته ١٤٠ صحيفة من القطع المتوسط — منشورات مجلة الرسالة المخلصية بصيدا

حديث النهضة وروادها حديث محبب الى قلوب الشباب ، والكتاب الذي نقدمه اليوم محاولة لشاب أراد أن يحدثنا عن نخبة من الأدباء المعاصرين .

والذي يتصدى لتأريخ الأحياء إنما يخطر على أشواك دامية ، وتعترضه عقبات ، ان لم تصده عن الغاية عوقته عنها ، وتحف به اعتبارات تنال من قيمة أحكامه على الأشخاص والأشياء ، ويتذبذب معها ميزان النقد ، أو — على أهون الفروض — تدع للتاريخ مجال التعقيب على هذه الأحكام ، فاذا استطاع أن يتسامى على هذه المعوقات لم تسلم له نفسه .

ونجيب مسعد صاحب محاولة من هذا النمط ، فهل سلمت له هذه المحاولة ؟

نحن الآن مع المؤلف – معه حقيقة أو قريباً من الحقيقة ؛ فما نكاد نقلب أولى الصفحات حتى تطالعنا صورته فتية باسمه مفكرة ، متطلعة الى المستقبل في قلق واهتمام .

وهو يحدثنا عن صفحاته هذه التي لم تكتب للنشر وإنما هي وليدة ساعات الفراغ وتأييد قراء الرسالة المخلصية التي نشرت بعضها ... يحدثنا أنها باكورة إنتاجه الأدبي ، فيها بعض الرأي وبعض الحكم .

وهذه حقيقة تلقي ضوءاً على هذه الفصول ، فهي ليست دراسة بالمعنى المعروف ، ولذلك سنتجاوز عما يجب لأمثال هذه الدراسات من الدقة والعمق والتحليل .

وسنأخذها على أنها تزجية من فراغ المؤلف لفراغ القراء ، لكنها تزجية مفيدة .

ونحن حين نستعرض هؤلاء الأعلام الذين حشدهم المؤلف يطالعنا من بينهم محمود تيمور ومطران وأبو ماضي وجبران ونازك الملائكة والصافي وبولس سلامه، وسعيد عقل وفوزي المعلوف واسكندر المعلوف .. وليس هؤلاء فحسب ، بل وعدنا المؤلف بكتابه الثاني ، يتحدث فيه عن كتاب العربية وهوسهم .

يغلب على هذه الفصول روح السرد التاريخي لحياة هؤلاء الأدباء والالمام السطحي بانتاجهم، وعدم التطرق الى مشخصات أدبهم أو مقومات نبوغهم، أو الربط بين البيئة وثمارها

وعهدنا بالدارس يتخذ التعرف إلى البيئة وسيلة لدراسة الأدب الذي انتجته ، ومدى تأثيرها في الأديب ، وتفاعله معها .

لكن الكتاب قد بعد عن هذا المنحى ، وربما صلح مقدمة لدراسة تحليلية عميقة لانتاج هؤلاء المفكرين الأفذاذ ، إذا توفر عليها المؤلف، وكان له الاستعداد لهذا النوع من الدراسة المنتجة .

وقد كان على المؤلف أن يسير الهوينا في محاولته الأولى ، فلا يتورط في الحديث عن الجوانب الوعرة في هؤلاء المفكرين كفلسفة إيليا أبي ماضي أو التشاؤم عند فوزي المعلوف

وان يتريث في اصدار أحكامه الحاسمة على الحقائق التي لم تستقر بعد كأصل (الف ليلة وليلة) وأن يكون دقيقاً في تعبيراته . فلا يجنح الى المبالغة .. المبالغة التي جعلت شاعرية بولس سلامه تترك في العالم دوياً كأنها الأنمل العشر تداول سمع الدهر !! وجعلت بولس يتعذب أكثر مما تعذب أيوب ثلاث مرات !!

وجعلت وفاة فوزي المعلوف سبباً في حداد الطبيعة ، وجفاف النيل ، وزلزلة الاهرام

وزمجرة الأرز ، وبكاء الجداول ، وتصدع هيكل الوحي والالهام ! !

.. وأن يكون دقيقاً في ايراد النصوص والتعليق عليها تعليقاً ملائماً (٣٩ — ٤١)

.. وان يكون فطناً إلى العبارات التي كررت بنصها مع اختلاف الموضوع (٢٨ ، ٣٨)

كلما سرنا مع المؤلف خطوة عثرنا بالأحجار التي يبعثرها في طريق القارىء فان أمن معها العثرات لم يسلم من المشقة .

فبعض الفصول يتهافت إعياء ، وبعضها يبدو كأنه حبال مفتولة لخنق الشخصيات التي أراد المؤلف تمجيدها ، ويخيل اليَّ أنه لو قدر لنازك الملائكة أن تبدي رأيها الصريح لصرخت محتجة على السلاسل التي كبلها المؤلف بها حتى استحالت شيطانة وهو يريدها إلهة.

ولن نكون حرفيين فنتقصى أخطاء الكتاب واحدة واحدة ، ولكن حسبنا أن ندل على الاتجاه العام لهذه التعريفات التي وضعت في اطار ضخم . ونرجو للمؤلف الشاب أن يكون عند حسن ظن القراء في كتابه المقبل ، كما نتمنى له حياة أدبية مزدهرة ، فان البداية — وإن لم تحقق الأمل — بشير بأن يتحقق.

رضوان ابراهيم

الأدب العربي بين الجاهلية والاسلام

تأليف الاساتذة حسن جاد وعبد الحميد المسلوت ومحمد عبد المنعم خفاجي

صفحاته ٣٠٠ صفحة من حجم المقتطف — طبع المطبعة الفاروقية الحديثة بالناصرية بالقاهرة —

كتاب قيم في الأدب العربي في العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام .

وهو دراسات قيمة ، وبحوث خصبة ، وأفكار جديدة .

وفي صدره بحوث جديدة عن أصول الأدب ومذاهبه ونقده والعوامل المؤثرة فيه والمنهج العلمي الذي سار عليه المؤلفون منهج يستند الى أعمق النظريات القديمة والحديثة في البحث الأدبي والنقد والموازنة .

وفيه عرض لأدق مشكلات الأدب الجاهلي شعره ونثره بأسلوب مبسط واضح ، وبحوث واسعة عن الأدب الاسلامي ومظاهره وأثر القرآن الكريم فيه . ويطلب من المؤلفين بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

* *

باب الأخبار العلمية

جهاز أوتوماتيكي يكشف عن الأورام المخية

اخترع في أمريكا جهاز أوتوماتيكي ذري يتيح للأطباء تشخيص الأورام المخية وتحديد مواضعها ، وذلك في بضع دقائق ، بوساطة الشعاع الذري . وبهذه الوسيلة يستغنى عن ادخال المريض في المستشفى . (ليقوم الجراحون بشق الجمجمة) وتحوى هذه الطريقة الجديدة ، أن يحقن المريض بعنصر من العناصر ذات الاشعاع الذري « توأم كيمائي » فان كان نسيج الورم موجوداً حقيقة ، استقر العنصر الكشاف فيه . ولهذا الجهاز الكشاف ذراعان توضعان على الجمجمة لتدل على مقر الدماء . وتوضح البيانات التي يكشفها الجهاز في ٣٢ موضعاً من الميناء المثبت في الجهاز وذلك بوساطة عداد جيجر الذي يكتشف الاشعاع الذري فيدل على مقر نسيج الورم .

*

وبعد كتابة ما تقدم نشرت جرائدنا المحلية الخبر الآتي : —

جاء من شيكاغو أنه قد اكتشفت في جامعة « نورث وسترن » الأمريكية طريقة جديدة لتشخيص أورام المخ بوساطة الاشعاع الذري . وقد شرح الدكتور لويل ديفز أحد المكتشفين ، هذه الطريقة فقال إنها تقوم بحقن مادة مشعة في عرق بذراع المريض ، فتجذبها نسج الورم . وتستقر فيها محتفظة بخصائصها الاشعاعية ، مدة تتفاوت بين نصف ساعة وساعتين . ويكفي حينئذ وضع جهاز جيجر على موضع الاصابة لتحديد مكان الورم تحديداً دقيقاً .

عين الاعمى

هذه العين الكهربائية هي عبارة عن جهاز صغير يبصر الاعمى ويرشده ويجنبه عثرات الطريق ومخاطره . وهو يرسل أشعة ضوئية تتقدمه خمسة عشر قدماً ، واذا ما صادفت هذه الأشعة أية عقبة في طريقها ، ارتدت ثانية الى الجهاز حيث ترسل موجات يحس بها حامل الجهاز فيحذر ويبتعد ، وقد يكون التنبيه على هيئة أزيز مسموع . وكلما أسرعت علامة التنبيه والتحذير دل ذلك على اقتراب الخطر ودنوه الا أنها ليست جزيلة النفع بل تكاد تعدمه اذا كانت الأخطار متحركة مقبلة في سرعة.

الاستدلال بجهاز الرادار على حصاة المرارة

سيتمكن الجراحون في مستقبل الزمان، من التوسل بجهاز الرائد اللاسلكي لاكتشاف الحصوات الصفراوية وتحديد مواقعها في البدن. كما يكتشفون به الرصاص وشظايا القنابل وقطع الزجاج أو شظايا الخشب التي تغور في الجسم البشري (وذلك اذا نجحت الطريقة الفنية التي اخترعتها جمعية علماء البحوث الطبية التابعة للبحرية الأمريكية).

وفحوى هـذه الطريقة، اطلاق طاقة الصوت غير المسموع أي الموجات الصوتية الفائقة التذبذب التي تتولد من قطعة بلور صخري وذلك على نسيج الجسم البشري، من الآلة المعدة لهذا الغرض، إطلاقاً مباشراً على الجلد البشري. وعندما تصل هاتيك الموجات الصوتية الى العظام، تنعكس عنها كما تنعكس عن أية مادة كانت من المواد الغريبة التي تغور في الجسم. حيث تكتسب خواص سمعية مختلفة، من النسج البدنية المحيطة بها. وبهذه الوسيلة تعكس حصاة المرارة أو شظية القنبلة أو الرصاصة أو قطعة الزجاج أو شظية الخشب، جزءاً من الطاقة التي تصدمها. وتتحول الموجات المنعكسة عن تلك المواد، الى نبضات كهربية، فتكبر هذه النبضات وتظهر على لوحة زجاجية من نوع الفلورسنت. حيث تشاهد وتسمع كالراديو.

*

وعلى هذا المنوال يتجلى أي جسم كان من الأجسام الغريبـة التي تظهرها أشعـة رنتجن أو لا تظهرها. وذلك على اللوحة الزجاجية، مثل صدى الصوت، أشبه بالطائرة التي تطير في الجو وتظهر صورتها على اللوحة الزجاجيـة لجهاز الرائد اللاسلكي. ومدى بعد الصدى عن النبضة الابتدائية يدل على مقدار عمق المـادة الغريبة الغائرة في نسج الجسم. ومخترع هذه الطريقة هو الدكتور جورج لدوبج عضو جمعية البحوث الطبية في البحرية الأمريكية بالتعاون مع زملائه الجراحين في جامعة بنسلفانيا.

القضاء على الفئران

أعلنت جامعة وسكنسون بأميركا عن سم جديد يقضي على الفئران ويبيدها في مستعمراتها.

*

ويسمى هذا المركب الجديد وارفارين Warfarin، وهو عديم الطعم والرائحـة، يفتك بالجرذان فتكاً بطيئاً وبلا ألم أو تعذيب والفأر إذا ما تناوله لا يبدو عليه الأثر سريعاً بل قد يمضي ويقفز في مرح ونشـاط، ثم يغالبه النعاس فتتعثر خطواته ويتخبط في مشيته ثم يلحقه الموت عن طريق ما يسببه السم من النزيف للفأر وهو لا يضر الانسان

استخدام بلاستيك جديد بدلا من العظام

أعلن ثلاثة من الأطباء الأمريكيين في مجلة جراحة التجميل والجراحة الانشائية ان مادة البلاستيك الجديدة المسماة بوليثيلين «هي بديل طيب جداً» للغضاريف والعظام البشرية المستخدمة في جراحة التجميل. ولقد أدخلت على مادة البوليثيلين جميع التحسينات التجارية أثناء الحرب ومنذ ذلك الوقت شاع استخدامها لصناعة الأدوات المنزلية وفي الأغراض الصناعية.

ويؤخذ من أقوال الدكتور ليونارد روبين والدكتور جورج روبرتسون والدكتور ريموند شابيرو من قسم جراحة التجميل بمستشفى كنجز الأميري، انه قد أمكن استخدام هذه المادة في اعادة بناء الأنوف والآذان والفكوك بل وأجزاء كبيرة من الجمجمة البشرية بنجاح كبير.

*

ويقال إن البلاستيك يفوق الغضاريف البشرية والعظام بميزات معينة. فيقول الأطباء إنه لا يصيبه الاعوجاج أو التفكك وسرعان ما يلتصق ويثبت مكانه. وقد قلت مضاعفات ما بعد العمليات حيثما استخدم بديلاً للغضاريف .... كما انه لا يؤثر تأثيراً سيئاً على نسج الجسم ... وبرغم ان مرونته أو قابليته للانثناء لا تتغير، فانه يؤلف «سقالة» مأمونة يبني عليها الجراحون القسمات النهائية الضرورية لاصلاح التشويهات الطبيعية أو الحادثة.

الأذن الكهربائية

تتكون أذن الانسان الداخلية من انبوبة حلزونية أشبه بالقوقع الصغير مليئة بسائل خاص. وحين تقرع الأصوات طبلة الأذن، يحولها هذا القوقع الى اشارات كهربية تنقلها آلاف من دقائق الأعصاب الى المخ، والأذن الداخلية تحلل وتميز بين مختلف الأصوات، من صراخ وعجيج وهمسات وأزيز، وحين تصل هذه الاشارات الكهربية الى المخ يعيدها ويترجمها ويفهم مدلولها.

ولقد قام الدكتوران بودجت وبترسون من معامل شركة بل للتليفون ببناء نموذج كهربي للأذن الداخلية، وهو عبارة عن شبكة كبيرة من الأسلاك والعدد الكهربية، تشابه في عملها تماماً ذلك القوقع الصغير في أذن الانسان، فهي تستطيع غربلة الأصوات وتمييزها كما تفعل أذننا الداخلية. وعلى هذا النموذج الكهربائي يدرسون الأصوات المختلفة فيعلمون كيف تدخل الى الأذن، وكيف تشق طريقها الى المخ: وهي بحوث سوف تفضي بلاشك إلى تقدم كبير في علم الأصوات والأنغام والموسيقى.

تأثير الألوان ...

دلت البحوث التي أجراها « المجلس بريطاني للالوان » على ان للالوان تأثيراً بالغاً الانسان . فالحيطان الصفر في مطعم تصد هوة الأكل عند الآكلين ، والحيطان بيضاء في مكاتب الاعمال تحد من مقدرة كاتبين على الآلات الكاتبة وربما تثير عصابهم ..

أما ألوان حيطان المنازل فالمجلس ينصح ن تكون هكذا (١) المطبخ — من الألوان باردة (البيضاء وما إليها) لتوائم حرارة المواقد والأفران (٢) غرفة الجلوس — من الألوان التي بين الدافئة والباردة أو الفاتحة قليلاً « كالكريم » وأمثاله (٣) غرفة النوم — من الألوان المريحة والمهدئة للأعصاب كالأخضر أو الضارب الى الاخضرار (٤) غرفة الحمام — من الألوان الضاربة للزرقة أو الخضرة أو الصفرة أو « الكريم » أو الوردية (٥) الردهة — من الألوان الدافئة كالكستنائي أو المسجدي أو ما يقاربهما لأنها توحي بالترحيب والحفاوة .

العناصر المشعة في الطب

أمكن اليوم استخدام العناصر المشعة لتشخيص وعلاج بعض الأمراض الهامة ستعصية . فاليود المشع ، اذا ما تناوله لانسان على هيئة محلول شهي لذيذ ، انما رج عن الجسم في البول ، إما مباشرة أو عد أن يمر بالغدة الدرقية . ويتوقف مقدار يذهب من هذا اليود إلى تلك الغدة على الها الصحية . ولما كان اليود لا يذهب أي مكان آخر في الجسم سوى هذه غدة ، فمن السهل ، اذا ما تناول الانسان ة صغيرة محدودة من هذا اليود المشع ياس مقدار ما يخرج منها في البول خلال ٤٨ ساعة ، ان يتعرف على حالة هذه الغدة . واذ كشف هذا الاختيار عن مرضها وفسادها فمن الممكن مضاعفة الكمية الأولى مائة مرة ، حيث يهاجم هذا اليود الغدة الدرقية ويقتلها دون ان يلحق ضرراً ما بأي جزء آخر من الجسم ، وهكذا يداوون النمو الخبيث اذا ما فتك بهذه الغدة. ولو قدر للعلم أن يوفق الى بعض العناصر المشعة التي لا تمتصها سوى خلايا السرطان الخبيثة دون أن تؤذي ما جاورها من الخلايا لأسدى اليد الكبرى للقضاء على هذا المرض اللعين الذي ينتشر ويتسع ويستشري مع تقدم الحضارة والعمران

* *

الفهرست

للجزء الرابع من المجلد الثامن عشر بعد المئة

٣٠٢ طبقات الحنابلة للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

٣١٧ عصب السلام للأستاذ الياس يعقوب

٣٢٤ نفثة مشتاق «قصيدة» للأستاذ عدنان مردم بك

٣٢٥ وحدة القصيدة في الشعر العربي —٢— للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

٣٣٠ تضخم البروستاته : أسبابه — أعراضه — علاجه للدكتور عبده رزق

٣٣٤ الكم والكيف في نهضتنا التعليمية للأستاذ رضوان إبراهيم مصطفى

٣٤٢ نظرات في النفس والحياة — تتمة نظرات السير آرثر هلبس : للأستاذ ع . ش .

٣٤٥ البطليوسي — ٢ — للدكتور محمد يوسف موسى

٣٤٨ عجائب المخلوقات — عروس البحر أو الجنية للأستاذ عوض جندي

٣٥٢ الربيع «قصيدة» للأستاذ حسن جاد حسن

٣٥٤ نحن واللغة العربية - ٤ — لمعالي الأمير مصطفى الشهابي

٣٥٨ العناصر المعدنية —٢— للأستاذ اسبيرو جسري

٣٦٣ الزراعة في اندونيسيا للأستاذ أحمد طه السنوسي

٣٦٦ التقويم الزراعي لشهر ابريل * *

٣٦٧ أخبار زراعية * *

٣٦٨ [باب المراسلة والمناظرة] : المخطوط النفيس — طبقات الحنابلة لابن أبي يعلي الفراء : للأستاذ طاهر النعساني

٣٧٣ [مكتبة المقتطف] : تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين : تلخيص للأستاذ اسبيرو جسري — الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث : للدكتور أحمد زكي أبو شادي. (١) فتاوي شرعية وبحوث اسلامية (٢) العلماء ثائرون (٣) حلية الفرسان وشعار الشجعان : للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي — شباب وغانيات : للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي — أعلام النهضة في القرن العشرين : للأستاذ رضوان ابراهيم — الأدب العربي بين الجاهلية والاسلام : * *

٣٨٤ [باب الأخبار العلمية] : جهاز أوتوماتيكي يكشف عن الاورام الخفية — عين الأعمى — الاستدلال بجهاز الرادار على حصاة المرارة — القضاء على الفئران — استخدام بلاستيك جديد بدلا من العظام — الأذن الكهربائية — تأثير الألوان — العناصر المشعة في الطب * *